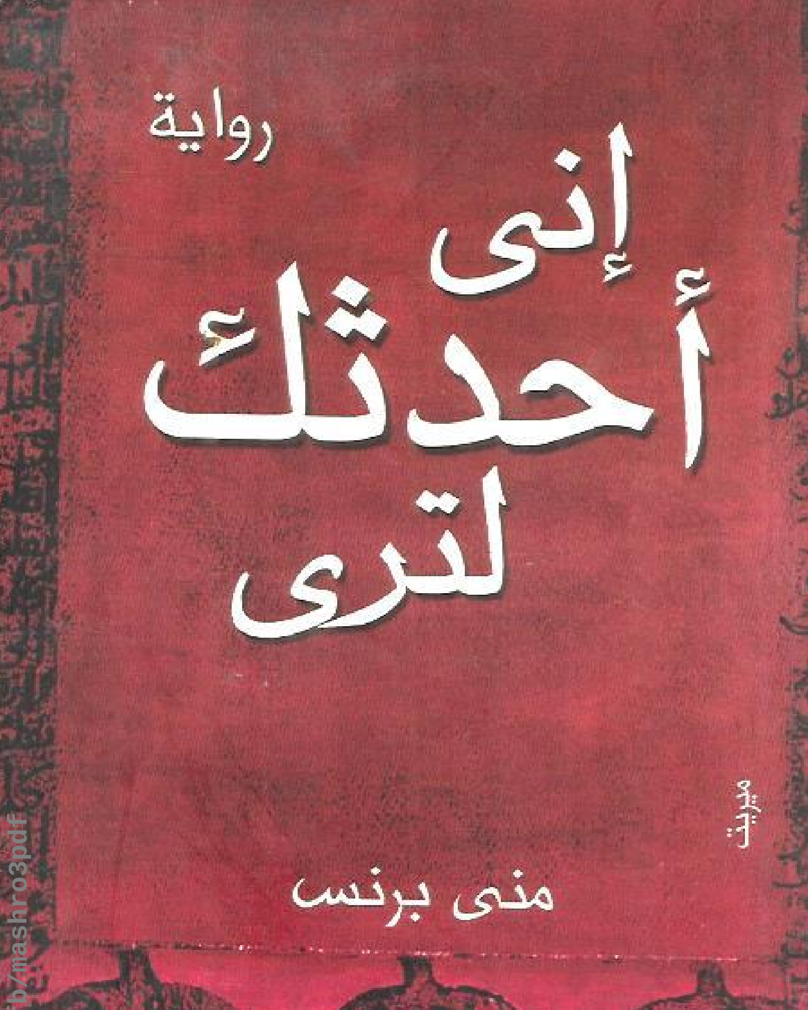

رواية
إنى
أحدثك
لترى
ميريت
منى برنس

إنى أحدثك لترى

إنى أحدثك لترى

رواية

منى برنس

الطبعة الأولى 2008 .

6 (ب) شارع قصر النيل، القاهرة
تليفون / فاكس: 5797710 (202)
www.darmerit.net
merit56@hotmail.com

الغلاف : إهداء من الفنانة هدى لطفي

المدير العام : محمد هاشم

رقم الإيداع: 2008/1968

الترقيم الدولي: 5-395-351-977

إنى أحدثك لترى

رواية

دار ميريت
القاهرة 2008

مفتتح

كثيرا ما قلت له: سأخلدك، سأجعل منك أسطورة..

سأكتب عنك وعني ، عن قصة حبنا.

و كان يسخر مني قائلا: أنت لا تعرفين كيف تكتبين..

فأغـيظه مازحة، هل سبق لأحد أن أحبك وكتب عنك..يجيب بـلا متواضـعة فيـتعاظم كبريائـي، وأقول إذن سأكون أنا هذا الشخص.. يؤكد على أنني لا أعرف الكتابة.. فأسارع بقمعه، أنت لست ناقـدا أدبـيا، كمـا انـك لا تقرأ الأدب.. أنت لا تهتم إلا بالأخبار، بالسياسة، وكرة القدم. دع الحديث عن الكتابة لغيرك..

ربما لا أعرف كيف أنمق الكلام، وربما لا أتفاعل مع الكلام المـنمق لـذلك أرفض استخدامه... لكنني على كل حال سأحاول كتابة قصة الحب هذه.

فـي الـبداية، أردت أن أكـتب رواية عن هذا الحب، لكنني اسـتنفهت الموضوع. رواية عن حب! ما الجديد الذي سأضيفه أنا في موضوع كتب فيه أعظم الكتاب والفلاسفة.. ورغم أنني عشت ولا أزال أعـيش هـذا الحب بكامل كياني إلا أن خبرتي ما تزال محدودة كي أتفلسف وأنظر للموضوع. هذا بالإضافة إلى فكرة أن الـرواية لا تكون رواية إلا إذا عالجت القضايا الكبرى واختمرت بالايديولوجيا.

فكـــرت عـــندئذ أن الحب موضوع غير كاف لكتابة رواية، فقـــررت أن أضمنه في رواية عن رحلاتي وتكون الرحلة هي في النهاية رحلة داخلية، رحلة بحث عن خلاص ما من خلال الانتقال الفعلي من مكان لآخر واكتشاف الذات والآخر والهنا والهناك. ولا بأس ببعض من السياسة، علم الاجتماع، علم النفس، الايروتيكا... فكلها عناصر مشوقة، ووصفة سبق أن جربت وأتت بمفعولها من انتشار وترجمة.

وبعد أن استقررت على هذا الشكل، تراجعت ثانية. ووجدتني أرفـــض كـــل الأشـــكال التقلـــيدية التـــي أعـــرفها وكل القضايا والموضوعات التي لا خبرة لي بها.

ســـأكتب قصـــة حبـــي فقط كما هي غير مكتملة ومن وجهة نظري أنا غير الموضوعية أحيانا، لم أعد في حاجة إلي من يعبر عنـــي أو يتبنـــى وجهة نظري أو يتحدث نيابة عني.. أصبح لي صـــوت. وسأحاول أن أفسح مكانا لوجهة نظر شريكي في القصة قدر استطاعتي أو قدر فهمي. ولأتهم بالذاتية والرومانسية، لا بأس بـــذلك أيضـــا. ســـأكتب مقاطع من لحظات عايشتها دون الالتزام بشـــكل معين. قد يأخذ المقطع شكل قصة أو قصيدة نثر أو اقتباس من نصوص أخرى، أو رسالة. قد يكون المقطع طويلا أو سطرا واحدا أو كلمة، بلغة فصحى أو عامية، ولا بأس بتعقيب ساخر أو بـــتدخل نقـــدي يـــنقض ما أكتب أحيانا. لم تعد الأشكال المحددة تعنينـــي. يعنيني الآن أن أقامر في الكتابة كما قامرت في الحب: بجرأة أشد، سأعربد في الكتابة مثلما أعربد في الحب.

ع

إهداء

إلى علي..
النور الذي أضاء الله به قلبي ....

عن الإهداء

عاجــز عــن النطق، إلا أن الحب على الرغم من ذلك يتوق إلى الإعلان عن نفسه، إلى كتابة ذاته في كل مكان. ... وما أن يخلق المحب عملا ما، تتملكه الرغبة في إهدائه. لكن، وباستثناء الأذكار التــي تتضمن الإهداء في نصها، فإن ما يتبع الإهداء (أي العمل نفســه) لا علاقــة له تقريبا بالإهداء. إذ يصبح العمل الذي أقدمه قــابلا للــتأويل وذا معان متعددة.... ورغم أني أكتب اسمك علي عملــي، إلا أن الــنص مكتوب للآخرين، (للقراء). وهنا تكمن حتمية الكتابة، فلا نستطيع القول بأن النص محب، بل، في أفضل الأحــوال، كــتب بحــب، مثل كعكة أو خف مطرز صنع بحب. وربمــا التشــبيه غيــر مناســب، فالخف صنع وفقا لمقاس قدمك ولمتعــتك، والكعكــة خبــزت حسب ذوقك. ...أما الكتابة فجافة، حادة، تتقدم كقطار دون مبالاة ودون شفقة، وستقتل أيا كان (أب، أم ، حبــيب) عن أن تحيد عن حتمية مسارها. ليس هناك رحمة فــي الكتابة، فقط رعب. إنها تخنق الآخر، الذي سيراها بعيدة كل الــبعد عــن مفهوم الهدية، والذي سيقرؤها باعتبارها تأكيدا على الســيادة، القــوة، المــتعة، والوحدة. وهنا يكمن التناقض القاسي للإهداء: أنا أسعى بأي ثمن أن أهديك ما يخنقك.

رولان بارت: مقتطفات من حديث عاشق.

1

في خفة الكائن التي لا تحتمل لكونديرا، يذكر توماس أن حبه لتيريزا تولّد نتيجة ست صدف حمقاء.... الساعة السادسة، رواية آنا كارنينا، دكة بعينها في الحديقة المقابلة للمقهى الذي تعمل به تيريزا، وصدفتان أخريان لا أتذكرهما الآن.. وكان يفكر ، باستياء إلي حد ما وباستهتار، كيف أن صدفا عمياء قادته إلي هذه المرأة التي أصبحت حب حياته، هو الذي لا يؤمن بالحب ولا يشبع من النساء...

هل كانت صدفة... وهل هناك حقا ما يسمى صدفة، حمقاء كانت أو غير ذلك.. أم إنها ترتيب ما فوقي... هذا التزامن والتتابع في حدوث الأشياء والذي يحدث دون وعينا أو حتى انتباهنا، وفجأة نلتفت ونفكر ونقول " صدفة "...

إلي أن..

صدف عدة جمعتني بذلك الرجل، حين اكتمل قمر ربيع الألف الثالثة.

حفـــل مـــن تلك الحفلات الفرانكفونية التي أعرف مسبقا أنها ســـتكون مملة. أحاول الاعتذار لصاحب الحفل، لا يقبل اعتذاري. (سأظل مدينة لإصراره على حضوري.)

أذهب مرغمة دون نية البقاء طويلا.

حفـــل مـــن تلـــك الحفلات التي يعلم مسبقا أنها تنتهي بقدوم الشـــرطة. يحـــاول الاعـــتذار لصـــاحب الحفل، لا يقبل اعتذاره. (سيظل مدينا لإصرار صديقه على حضوره...؟؟)

يذهب مرغما دون نية البقاء طويلا.

أرتدي ثوبا بدويا لافتا للنظر.

أتلفت حولي. أعرف بعض الحضور. أهز ساقي متململة.

ما إن يدخل الحفل حتى يلمح ثوبي، فيسأل صاحب الحفل إن كنت قبائلية.

" سأخبرك لاحقا. "

ألـــتفت إلـــي ثلاثة أشخاص يتحدثون بلغة غريبة، خليط من لهجة محلية وعربية وفرنسية. أسأل الشخص الأقرب إليّ عن لغة حديثهم.

" سأخبرك لاحقا. "

أدير وجهي ناحية أخرى...

تزداد رغبتي في مغادرة الحفل... لكن لا أقدر.

أملأ كأسا لنفسي وأذهب إلي الشرفة أتطلع إليْ الشارع الذي خفّت حركته.

يخاطبني شخص. أستدير... الرجل الذي سألته عن لغته.

و بدأ حديث استمر حتى مطلع الفجر.

كـنت أنـوي المبـيت في بيت صاحب الحفل إلا أن آخرين سبقوني في الحجز وصار المكان مزدحما، فعرض علي أن أبيت عنده.

ذهـبت معـه إلـي منزله. شقة بها ثلاث غرف للنوم لي أن أخـتار منها ما شئت. لم تكن بي رغبة في النوم. سألني إن كنت أرغب في مزيد من الشراب، فأجبت بنعم.

و جلسنا نتحدث ساعات أخرى.

أعـتقد أن تلك كانت المرة الوحيدة التي تحدث علي فيها بهذا الإسهاب.

فـي التاسـعة تقـريبا أعدّ قهوة لكلينا، وكنت قد أخبرته أني ذاهبة إلي إحدى الواحات القريبة من القاهرة لحضور أحد الموالد. أصـرّ بود على أن يوصلني إلي أقرب نقطة. دعوته إلي المجيء معي (مجاملة). تردد. ثم غامر بالموافقة.

كان المولد علي الضفة الأخرى للبحيرة. ركبنا مع مجموعات أخـرى مـركبا شراعيا عبر بنا البحيرة التي تنتهي إلي صحراء شاسعة ومقام والي مزار.

كل أتى من صحرائه الخاصة
محمل بهواجس تاريخية
صحراء جرداء مقفرة
لا عين فيها ولا واحة
التقينا

وكنا عطشى
و عند طلوع الفجر
طلبت منه أن يقّبلني
فقبلني، وقبلني، وقبلني
حتى ارتويت
و منذ تلك القبلة
لم أشبع أبدا.

وبـــدأت اللقاءات تتوالى، تقريبا يوميا. يهاتفني أو أهاتفه بعد الانــتهاء من عمله، ويدعوني إلى العشاء. أمر على مكتبه بوسط المدينة ثم نذهب معا إلي بَبْ 28 بالزمالك. نشرب بضع زجاجات من ستيللا التي نفضلها نحن الاثنان. نتناول العشاء وحديث هادئ يدور بيننا، أخبار، حكايات، نوادر، وذكريات.

و شيء آخر يسري بيننا..

شيء لم أعرفه من قبل

نبرات صوته الهادئة تخفف حدة توتري الداخلي

لطفه وعذوبته يجعلانني رقيقة أكثر من المعتاد

بل لا أعرف عن نفسي هذه الرقة والدماثة

فأنا بطبعي شعواء، متهورة، وعنيفة أحيانا

لكن شيئا ما كان يحدث..

كنت أشف.

أعرف نفسي منجذبة إلي الغوغائيين أمثالي..

أما هذا... فرجل عاقل، عاقل جدا

كلماته قليلة، دقيقة، وغير منمقة

حركاته أيضا دقيقة، هامسة، مهذبة..

مهذبة جدا، دون ادعاء

على الإطلاق.

لـــم يكـــن مـــن هؤلاء الرجال الذين يستعرضون أنفسهم أو إنجازاتهم أو مميزاتهم.

لم يكن أبدا يعبر عن أناه بطريقة صاخبة فجة.

قد يعتبره البعض متعاليا، أو مترفعا، أو منطويا

لكنه أبسط من كل ذلك

هو إنسان جميل.

طلبت منه أن يقّبلني.
كـــان ذلك في الثالثة صباحا، في سيارته، في موقف سيارات الماريوت.
و كان الوقت قد تأخر علي العودة إلي البيت، فاستأذنت علي أن أبيت عنده.
أتاني ب تي شيرت وشورت. غيرت ملابسي.
سألني إن كنت أرغب في مزيد من الشراب، فأجبت بنعم.
تحدثنا قليلا، ثم....
كان من الطبيعي أن ننام معا في نفس الفراش، فقد سرى شئ ما بيننا ألفة ما، تلقائية ما، جعلت تواصل جسدينا أمرا طبيعيا
و كأننا كنا معا في حياة أخرى سابقة
كأن روحينا قد تآلفتا منذ زمن قديم
فاستحضر جسدانا وصالهما التاريخي
لم تكن هناك محاولات لاكتشاف الآخر
أو استعراض لمهارات فنية.
نتشابك ونتعانق ونلتئم
نصبح كائنا واحدا متوحدا
لكـــن مـــا كان مزعجا لي – كوني غير معتادة – هو النوم جـــوار شـــخص في نفس الفراش، فلا أنام. وعلي ينام في دقيقة.

يستيقظ أحيانا دون سبب واضح، فيجدني أنظر إليه. يندهش، ويقول لي " نامي ". لكني لا أنام، وأظل أتأمل ملامحه.

وسامة علي لا تبدو لأول وهلة
و لا لأي ناظر
بل تتكشف تدريجيا من خلال معرفته
العينان صغيرتان. هو يسميهما شرطتان.
الأنف كبير، أراه ملووحا قليلاً جهة اليمين... وهو ينفي.
الشفتان ممتلئتان ، ولا أشبع من قضمهما أبدا.
الفواصل التي بين أسنانه
و غمازات خديه التي لا تبين إلا عندما يضحك..
من قلبه.

" معكِ أنام مطمئنا "
يأخذني بين ذراعيه
يلف ساقه اليسرى حول ساقيّ
و يشدني إليه
يدس أنفه في شعري
ثم يعلو شخيره.
في البداية كنت أنزعج
ثم تعوّدت.
و صرت أشعر بالسكينة عندما يملأ صوته أذنيّ
أشبك يديه على صدري
و أنام سعيدة.

" تعرف إن أنا نخبت "

" نخبت مين؟

" نخـــبت الهة مصر العليا، الصعيد يعني، ومتمثلة في شكل النسر."

" نسر.. عشان كده ما بتعديش في بيتكم.."

" طـــبعا لازم أطير عشان أشوف أحوال الرعية بتاعتي. أنا إلهة"

" اتشرفنا..."

" وف حياة تانية كنت من الهنود الحمر"

" يا سلام.. كمان هندية حمرا"

" وعـــندي اســـم هندي.. المرأة النسر القوية... شفت العلاقة بين مصر القديمة والهنود الحمر... يعني أنا نسر في كل الأحوال"

" واضح.. لكن عرفت ازاي؟"

" طـــول الوقت كنت أشعر أني قريبة من الهنود الحمر بشكل مـــا، وأري فـــي ملامحـــي شيئا من ملامحهم، ثم أكدت لي ذلك مستبصرة أيرلندية."

" وكم دفعت لها!!!"

أضحك وأكمل حكاياتي،

" بس جدتي روسية... وبتفتخر إن عبد الناصر اداها الجنسية المصرية بعد الروس ما ساهموا في بنا السد العالي"

يضحك علي، ويسألني وأين تزوجها جدك.

" في أسوان، ما هو كان مهندس هناك... اتعملهم فرح نوبي"

يشرد قليلا، ثم يسألني..

" وانتي مش عايزة تتجوزي ؟"

لأ.... أنا روح حرة.. وبعدين أنا إلهة، يعني متجوزة الكون كله. أنا مش فاضية." "

" يا سلام.."

وانت... عايز تتجوز؟""

أنا لا أحب القيود. لكن لو حدث سأتزوج من بلدي.""

" يا سلام... يعني إن ما كانتش من بلدك ما ينفعش، هو انتو بس اللي عندكوا ستات"

هكــذا، أوضـــح له من البداية أن لقاءنا الجنسي كان عابرا، وأفهمـــه أننـــي لا أرغب في الزواج وضد فكرة الارتباط حتى لا يـــذهب ذهنه إلى أبعد من الصداقة، وحتى لا أتورط عاطفيا معه. ويبدو أنه هو الآخر كان حريصا على إيصال نفس المعلومة إليّ. نحن إذا متفقان.

بعد ثلاثة أشهر سأطلب، أنا، منه الزواج وسيرفض. سأطلب مـــنه أن أنجـــب مـــنه طفلا وسيرفض. سيسألني إن غضبت من رفضه وسأجيب بلا، " غالبا، رغبتي مش حقيقية."

تلقائــيا، صـــرنا نتقابل دون مواعيد أو اتصالات مسبقة. أمر علــيه بالمكــتب خلال النهار، نطلب ساندويتشات ونأكل معا. ثم يســتأنف عملـــه، وأجلـــس أنا على مكتب آخر أقرأ أبحاثا تخص مجـــال عملي. ترهقني النظريات فأتوقف عن القراءة وأنظر إلي علي.

حركة ذراعيه وهو يتناول فاكسا، نقرات إصبعيه على لوحة تحكـــم الكمبيوتر، خطواته الهامسة ما بين حجرة التيكرز وحجرة المكتب...

نسمة صيف حار
تداعب ولا تزعج
و قد لا تنتبه إليها
لكنك تشعر بتأثيرها على النفس
فتتساءل عن سر هذا الصفاء المفاجئ
و هذه الراحة التي لا تخطئها الروح
فتومض في قلبك هذه النسمة.

أقفز إليه وأجلس على ساقيه وأقبله في عينيه.

" إيه..؟"

" بحبك "

" فجأة كده.."

" لأ بس أصل النظريات صعبة أوي.. و...."

" يلــلا كملــــي شــغلك وبلاش دلع، وخلَيني أكمل شغلي أنا كمان."

" حاضر "

و أمطر وجهه بقبلاتي.

تزداد رغبتي في القرب منه يوما بعد يوم، ساعة بعد ساعة. كلما يمتد الوقت الذي أمضيه معه نهارا، كلما تصعب عودتي إلي منزلي مساء. فأبيت معه في نهاية الليل. كان يشعر بتمزقي ما بين لهفتي للبقاء قربه وبين واجب العودة. يعرف أن جدتي ذات السبعة والتسعين عاما تنتظر، رغم أننا لا نعرف على وجه التحديد ماذا تنتظر. تعاتبني أحيانا على غيابي، وأحيانا أخرى تطلب مني بحماس المراهقات أن أصطحبها إلى تلك السهرات التي تعتقد أنها راقصة وحافلة بالمسرات. يضغط على مشاعره ويوصلني إلي منزلي. وأمام البيت القديم أتشبث بيده وأودّعه في نصف ساعة إلي أن يقول لي " يللا انزلي ". يرى روحي تفارق وجهي فيمسك بيدي ويطمئنني " ما إحنا هنتقابل بكرة "

أحتضن وسادتي وأمضي الليل في انتظار الغد إلي أن أغفو..

تتساقط أسناني وأنا أغسلها بالفرشاة.. لكني لا أفقدها. أرتعب. ألتقطها من الحوض وأقرر أن أذهب بها إلي طبيب الأسنان لإعادة تركيبها. وأهدأ قليلا. فأنا أعرف أن جدتي لا يمكن أن تموت. لا أدري كيف انغرست هذه القناعة لديّ. من إذن؟ علي...

أنهض متوترة.

أرتدي ملابسي بسرعة وأذهب إلي علي في مكتبه.

أجده بخير فيهدأ بالي. أعد قهوة لكلينا وأطالع جرائد الصباح.

الأخبار لا تسر ولا داعي لسردها.

نتشاحن أنا وعلي سياسيا.. وفي النهاية أسكته بقبلة.

أعود لمتابعة قراءاتي النظرية المملة. وبين الحين والحين أنظر إليه فأجده مستغرقا في عمله. أبتسم، إذ قلما قابلت شخصا يحب عمله هكذا. ورغم الوقت الكثير الذي يقضيه علي منشغلا عني بالأخبار والمقابلات والمؤتمرات إلا أنني كنت فخورة به.

يلتفت فجأة إلي ، يراني وأنا أتأمله.. ينظر إلي طويلا ثم يواصل عمله. في البدايات كنت أستفهم، وعندما لا يجيب بكلمات صرت أنظر إلي عينيه وأقرأ... أقرأ ما لا يفصح عنه اللسان.

أقبّل عينيه.

يذكرني بأغنية عبد الوهاب " بلاش تبوسني في عينيه دي البوسة في العين تفرّق...."

عيناك تغريانني بتقبيلهما.. الحزن. الدفء. العمق. الشقاوة.

و إلي أين يمضي بي الإغواء.

يــرن المنبه في الصباح الباكر. أغلقه سريعا كي لا يستيقظ. لا تــزال ذراعــاه تحيطان بي. أرفعهما على مهل، وأقبل أصابع يديه.

لا أريد النهوض وأتردد ما بين الذهاب إلي العمل والبقاء بين ذراعيه واستنشاق أنفاسه. أقبله في عنقه وجبينه وعينيه، وأطراف أصــابعه. أنازع نفسي. يفتح عينيه، " ستتأخرين " ويقبلني. يربت عليّ ويقول " انهضي". أشعر بأنني أقتطع عن نفسي.

أغتســل وأرتــدي ملابســي على عجل كي لا تفوتني لحظة يمكنني فيها البقاء معه.

" اشربي قهوة"

" مش مهم"

لا أريــد تضــييع الوقت في صنع قهوة وشربها. أريد البقاء قربك، قرب نفسي.

تتنازعنــي رغبتــي في الالتزام بعمل لم أعد أرغبه وحقيقية وجودي معه..

أنظر إلى الساعة، أقبّله مرة أخيرة وأنزل قبل أن يضعف هو ويبقيني معه.

أشعر بتعب السهر وعدم كفاية النوم وجوعي إليه..

لكني سعيدة لأني أبدأ يومي معه.

أنا متعثرة. لا أعرف كيف أستكمل السرد دون الوقوع في فخ الملل.

لأن الرواية رواية مشاعر بالأساس وليست رواية أحداث أو شخصيات - إذ ليس هناك سوى عين وعلي - أجدني الآن مرتبكة. رغم تصريحاتي السابقة بأنني سأكتب قصة حب فقط إلا أنني أخشى جديا الوقوع في فخ الرتابة. وهو الأمر الذي يجب على الراوي أو الراوية تجنبه. فقد تضاهي الرواية تفاصيل الحياة الفعلية لكن بالتأكيد لا يجب أن تضاهيها في الرتابة. وهنا يجيء دور الراوي، ربما، في حقن الرواية ببعض المنشطات التي تنعشها وتبعدها عن الوقوع في الملل - المعادل الموضوعي لروتين الحياة أو نمطية قصة الحب الحقيقية. والقصة رغم أنه لا تنقصها المشاعر الحارة والانفعالات المتطرفة إلا أنه يصعب تمثيلها والتعبير عنها في أحيان كثيرة، وحتى إذا استطعنا تمثيلها فهي لا تكفي وحدها لخلق عالم روائي ، أو على الأقل هذا ما أعتقده أو بالأحرى ما تربينا عليه. إذا، ربما يجدر بي أن أختلق بعض الأحداث كي أدفع بعجلة السرد إلى الأمام.

أنا متوقفة الآن لأني لا أعرف ما سيأتي أو لا يأتي. لأفكر إذا في مدخل مناسب يشد القارئ بعد الصفحات القليلة السابقة التي

توحـــي بأن كل شيء تمام وعلى ما يرام، المشاعر صافية والحب ينمو ويترعرع.

لأفـــتعل شجارا مثلا. والحقيقة أن ذلك ما حدث بالفعل وكأن عين استشعرت أن عشر صفحات من الرومانسية يكفي. ورغم أن عين نفسها لم تشعر برتابة العلاقة بعلي بل كانت سعيدة جدا حتى هذه اللحظة، إلا أن القارئ قد يعتريه الزهق من ندرة الأحداث أو التشويق. أكاد أشعر بالقارئ يفكر بنفاد صبر إلى حد ما " طب ها وبعدين.."

أوكي..

" تعـــود عين من عملها بعد الظهر وتتصل بعلي في المكتب. يعـــتذر عـــن لقائها الليلة بسبب عمل طارئ ويعد بأن يتصل بعد انتهائه. تغتم لكن لا تعلن. تقول له " أني أتفهم ". الليلة قراءة إذن. تقـــرأ، لكن دون تركيز حقيقي فتضطر لقراءة كل فقرة مرتين أو ثلاث وبين كل فقرة وأخرى تنظر إلي ساعة الحائط.

تأخر الوقت ولم يتصل.

تهاتفـــه على الموبايل، لا يرد. ألم ينته بعد.. تكرر الاتصال، لا يجـــيب. هـــل هـــو متعب..هل حدث له شيء سيئ .. لا يريد الـــتحدث معـــي.. لكـــن لم يحدث بيننا شيء يدعو إلي ذلك.. هل وهـــل.. أيكون مع امرأة أخرى.. أيكون هذا هو العمل الطارئ.. تعاود الاتصال.. يرن الجرس دون أن يجيب.. مشغول مع امرأة

أخــرى.. أكــيد.. تشــعر بالغضــب وهي تتذكر ما قاله لها في لقاءاتهما الأولى.. " أنا لا أحب القيود وأحب التغيير"

إذن هو مع امرأة أخرى. تتعجب لإجابتها حينها " وأنا كمان بحب التغيير".. تمكث الليل كله تتصل به على الموبايل والبيت. لا يرد.

تذهب إلي مكتبه في الصباح. يفتح لها الباب. تنظر إليه شذرا وتدخل حجرته كريح مجنونة. ويدور هذا الحوار.

" كنت فين امبارح ؟"

" ما انتي عارفة، كان عندي شغل بالمساء "

" أنا كلمتك ميت مرة عالموبايل والبيت ومردتش"

" آه علشان كده انتي جاية زعلانة ... نسيته بالسيارة وكسلت أنزل أجيبه والبيت انتي عارفة اني مابردش عليه"

" انت كداب.. انت كنت مع واحدة تانية "

" عين، أنا مبكذبش عليكي. قلت لك نسيت الموبايل بالسيارة"

" علي، يا أنا يا الأخريات"

" عين، أنا لا أحب التهديدات. وأنا حر. انتي فاهمة"

" أوكي، مش هتشوفني تاني"

تنظر إليه بتحد. ينظر إليها باندهاش.

تخــرج مــن الحجــرة. تغلق الباب بعنف يصطدم بالأسقف العالية.

تقابـل أصـدقاءها في الظهيرة والغضب يملؤها. تلعنه وهي تبكي ولا تعرف لماذا تبكي. ينصحها الأصدقاء بتركه، فهي جميلة وصغيرة وألف واحد يتمناها. تقرر أنها ستفعل ذلك.

لكـن قبل أن ينتهي اليوم تراجع نفسها وتعترف بأنها افتعلت شـجارا، وأنهـا ذهـبت إلـيه محملة بتخيلات وهواجس ليست بالضـرورة صـحيحة. وهـي تعـرف أن علي لا يكذب عليها. تضايقت من نفسها بشدة. ولم تعرف كيف تصلح ما أفسدت. تتردد فـي الاتصـال به خوفا من أن يرفضها. وشعورها بأنها لم تكن صـادقة في انفعالها عليه جعلها تخجل من نفسها. تمكث اليوم كله تفكر ماذا تفعل، وكيف سيكون رد فعله. في النهاية تتصل.

" ممكن نتقابل؟"

يلتقيان فى مطعم بالمهندسين.

جاء متعبا يعاتبها بعينيّ رجل لا يعرف البوح.

" عين لا تفعلي ذلك ثانية. أنا لا أكذب عليك ".

لم تعرف أين توجه نظراتها.

تتحدث في موضوعات كثيرة لا رابط بينها.

يسمعها صامتا.

تسكت عن الكلام وتنظر بتردد إلي عينيه.

يواجهها عتابه.

غصبا عنها تتكثف الدموع في عينيها.

" أنا آسفة يا علي "

يتناولان العشاء ويذهبان معا إلي البيت.

يضمها إليه. تشبك ذراعيه حول كتفيها.
تنام وضميرها نقي."

أوكي

لم تكن خناقة بلدي بالصوت والصورة، والصلح تم بأسرع مما توقعت، ورجعت ريما لعادتها القديمة وكمان نامت وضميرها نقي!!. لكني أعتقد أن المشهد السابق أدى بعضا من الهدف المنوط به ألا وهو إحداث تغيير في مسار السرد العاطفي.

على كل حال الرواية ليست لقارئ يبحث عن أحداث مثيرة، أو صورة مجتمع، أو أي شيء من هذا القبيل. في نهاية الأمر أنا أكتب الرواية التي لم أقرأها حتى الآن وأبحث عنها في كل المكتبات... رواية حب صافية، لا تنتهي نهاية روميو وجوليت المأساوية، ولا تنتهي كذلك بتلك النهايات السعيدة المفزعة التي لا يخبرنا أحد ماذا يحدث بعدها.

ثلاثة أشهر تنقضي وأنا أتساءل
هذا الفينيقي الجبلي
أيّ ريح عصفت به إليّ
لتقتلع أوتادي الراسخة رسوخ الأجداد في قبورهم
و تلقي بي في دوامات رمالي المتحركة
أيّ ريح تلك
التي حملت ذلك الشارد المتلفت
إلى مرفأ منغلق على ذاته
قابع في عميق وحدته
ينتظر نسمة تداعب أجنحته الساكنة
فتأتي ريح غير عابئة
تنثر باستهتار ريش أجنحتها المدربة

مع اقتراب يوليو من نهايته يقل كلامه ويزداد تأمله لي كمصور فقد كاميراته فاضطر إلي حفظ دقائق الصورة في مخيلته كي لا تفلت منه، أو كأن الصورة ستغيب عنه بشكل ما دون أن يتمكن من التقاطها فيضيع بهاء اللحظة التي يضن الزمن بتكرارها.

" لن أعود مجددا يا عين، انتهت مدة إعارتي "

" ستعود "

" بالطـــبع سأرجع لتسليم المكتب إلي من سيأتي بعدي، ولأخذ جميع أغراضي "
" ستعود وستبقى مدة أخرى "
" هل أنت عرافة !!"
" لا .. لكن قلبي يحدثني بأنك ستعود وتبقى "
" قلبك مخطئ يا عين، مدة الإعارة في عملنا ثلاث سنوات قد تمتد عاما رابعا بقرار رئاسي وهذا غير وارد "
" ستبقى يا علي مدة ثانية "
" ما الذي يجعلك متأكدة هكذا ؟"
" لم أشبع منك بعد، بكل بساطة "

و ستمر السنوات وسيعود
لأؤكد له أني لا أشبع منه أبدا
و سأقول له أنه بوعي أو لا وعي
يقطر جماله عليَ
و لا يسكبه مرة واحدة
فأمتلئ
و أضع الكأس على الطاولة بصوت يشي بانتهاء الجلسة
سأقول له أني أتلقى كل قطرة على حدة
و آخذ وقتي في رشفها
حتى القطرة التالية
سأقول له أني لم أكن أبدا عجلى
فهناك عهد بيننا

يسافر.

أدور حـــول نفسي لا أعرف ماذا أفعل، وكيف سأقضي هذا الشـــهر. أعـــاود مقابلـــة أصـــدقائي، أسمع نفس الحكايات وآخر المؤامـــرات والـــنمائم. أذهب إلى السينما، أشاهد أفلاما كوميدية، أســـمع الجمهـــور يقهقـــه عالـــيا، أنظر في الوجوه البلهاء حولي وأتســـاءل عـــم يضـــحكون. أحضر ندوات ثقافية، أجدني أستمع لمجاملات نقاد لم يقرؤوا كتب من يجاملونهم.

لا شيء حقيقي.

أعـــد الدقائـــق إلى أن تصبح ستين دقيقة فأشطب ساعة من الوقت. أعد الساعات إلى أن تكتمل أربع وعشرين فأشطب يوما. الـــناس تشتكي من قصر اليوم وأنا أشتكي من طوله وبطء انتهائه وقلة حيلتي.

أين أنت يا علي
العالم كله لا يغنيني عنك
و لست أدري كيف سأكون بدونك
سأكون بالتأكيد
لكن بأية كيفية
كنت أحيا بنبض قربك

و الآن أحيا أتوماتيكيا
تماما كغسالة فول أوتوماتيك
تضبط مؤشر البرنامج حسب نوع الغسيل
فتنجز الآلة عملها
دون تبرم
دون تفكير
دون إحساس
مذ فارقتني

أقـــرأ خبـــرا في جريدة الأهرام يعلن عن تغيير مدير مكتب وكالة الأنباء العربية بالقاهرة. أقرأ خبرا في جريدة الحياة اللندنية يفـــيد بمـــد عمـــل المدير الحالي لفترة ثانية. أهاتفه لأتأكد. تلفونه عطلان. أكاد أجن من الانتظار في مكاني

أذهب إلى جبل موسى وأكلم ربي
المشوار طويل، والصعود منهك
لكني أحتاجه
أتحرك خارج نفسي كي يسكن داخلي
كلما قطعت مسافات أبعد
هدأت حركتي الخفية المستترة بروحي المتعبة
الجبل والسماء وهلال وليد
أنا والله وجها لوجه
أحكي له عن علي دونما خجل
أعرف أنه يعرف
ألم يرسله إليّ
و أطلب منه أن يجمعني به
و إن كان لا بد من فراق
فليكن مؤقتا وألا يطول.
يسقط لي نجمتين.
كبير أنتَ
و راسخ على عرشك
صغيرة أنا
أتطلع فقط إلى بهاء نورك

أقترب وأبعد، أطيع وأعصى
أطلب وأصبر، أتعجل وأستغفر
كبير أنت
لا يسعني إلا محاولة الوصول
و أخشى الوصال
أحمل قرباني وأتهيأ
أصعد الجبل على مهل
و عند اقتراب الوصل
أسقط نفسي عن عمد
و أبدأ من جديد...

في غيابه صار حضوره طاغيا.
يزداد اشتياقي تألقا.
أستدعي تفاصيله وأتأملها عن كثب.
أستحضره،
و تبدأ عادة التحدث إليه عن بعد.
أحبه كما لم أحبه من قبل
و لن يفاجئني يقين أنه رجل عمري
الرجل الذي جعلني امرأة.
تنفلت مشاعري من عقال الجسد
و تحلق بعيدا عني وعنه.
و من هذا البعد أراقب مشاعري.
أراها تنمو، وتتكاثف وتتكثف.
و ستسقط بغزارة مطر انقطع لأزمان
عن أرض تشققت من طول انتظارها.
هل ستلتئم الشقوق وتنبت زهرا
أم ستذوب الأرض
ويجرفها السيل.

أنتظره بالمطار. تتأخر الطائرة ساعة. يا ربي ألا يكفي شهر غـياب. أقطـع سـاحة الانتظار جيئة وذهابا وعيني على اللوحة الالكترونية التي تعلن عن رحلات الوصول. تصل طائرته أخيرا. أتابـع خـروج الـركاب من صالة الوصول بنفاد صبر. الجميع خرج. أين هو؟

يظهر أخيرا.

و عكـس ما يحدث في مثل هذه الحالات، بدلا من أن أجري إلـيه وأرتمي في حضنه، وجدت نفسي مسمرة. أسرع هو نحوي، وأخذنـي بـين ذراعـيه. أبعدتـه عني برفق، وتحسست وجهه وذراعـيه، أطراف أصابعه. ينظر إليّ متسائلا. " بتأكد انك جيت فعلا، وانك انت هو انت."

نصل البيت.

أتشاغل بوضع أغراض سفره في أماكنها.

يهم إليّ.

أسأله أين هديتي.

يخرج من حقيبته الخاصة علبة ويفتحها.

طقم فضة أمازيغي قديم أشهق لرؤيته.

لا ينتظر أكثر من ذلك.

يصل رحمي
فينفلت شوقي رغما عني
و تتكثف دموعي.
أرتجف رجفة من تلتحم روحه بالروح القدس.
تتقطع شهقاتي ويرتفع وجيبي
يشملني بداخله/ بداخلي
أسلم له روحي راضية.

يحبني، ويفزع من حبه لي
أحبه، ولا أخشى شيئا.
أقول له
عندما أكون في حضرتك
لا أستطيع أن أحيد بنظري عنك
و إذا ما ذهبت لأستلقي على تلك الكنبة
التي كثيرا ما تشهد عناقنا
و أغمض عيني في محاولة للنوم –
بعد ليلة كنت أمضي معظمها أشكر الرب
على نعمة أن أكون بين ذراعيك،
و أن أنفاسك تدفئ عنقي –
تظل بقية حواسي يقظة
لأدنى التفاتة منك.
الحب متطلب يا صديقي
و لا يكتفي أبدا
فكيف أشرح لك
أنا التي لا تمل محاولات
الشرح والتفسير والتنظير أحيانا.
تعجزني اللغة المحايدة.

أريد أن أكون معك
دون أن أكون معك
كي لا تفزع فكيف يكون ذلك؟

علي لا يعبر عن مشاعره، أيا كانت، صراحة.
و عين لا يضاهيها أحد، امرأة كانت أو رجلا، في التعبير.
لذلك قد يتهمها البعض بأنها دكتاتورة،
و بأن صوتها هو الصوت المهيمن على النص.
ليكن!
هذا نصها..
ثم ماذا تفعل إن كان من تحب لا صوت له،
و لا يرغب كثيرا أو قليلا في التعبير عن نفسه.
هل ستعبر هي عنه ؟!
عين ليست من أنصار الربرزنتيشن من أي نوع كان
ثقافيا، صوتيا، أو مرئيا.

ذكرت في مفتتح الرواية أنني سأخلده بكتابة قصة حبنا. لكن هــذا العلــي الآن لا يستحق لا التخليد ولا مجد الأسطورة. لماذا؟ لأنـــه عضني في لساني، وقال إيه بيبوسني !! وسبب العضة التي اعتبــرها عقابــا لا واعــيا هي تلك الأحداث السياسية والقضايا الكبــرى التـــي قلت في البداية أنني سأتجنب الخوض فيها. لكني مضــطرة الآن لذكــر بعضها بسبب تلك العضة أو القبلة الخبيثة. فــبعد عــودة علــي من إجازته بأسابيع قليلة انتفض الفلسطينيون انتفاضــتهم الثالــثة، وذلك اثر دخول شارون الاستفزازي المسجد الأقصـــى بحذائـــه، وتصادف أن يتزامن ذلك مع ذكرى وفاة عبد الناصـــر. النتيجة، مناقشة سخيفة تدور بيني وبين علي نتبادل فيها الاتهامات حول دور مصر فيما يحدث الآن على الساحة العربية. أغــتاظ من النقاش العقيم الذي يدفعني للدفاع عن قرارات حكومة لا تمثلنـــي شخصــيا. لكنـــي في النهاية لا أريد للسياسة أن تفسد الليلة. أقبله في فمه، فيعضني!! ولا يترك لساني لحاله إلا بعد أن أبكي من الألم. ينظر إليّ مستغربا ويسألني " وجعتك؟" أرد عليه، " انت مجرم."

يعتذر ويقول أنه لم يقصد، وأنه فقط كان يقبلني.

" هل وجعتك معنويا أم حسيا؟ "

" أنا اتألمت لأني حسيت انك بتعاقبني على حاجة ماليش دخل فيها"

اعتذر ثانية بضمير وأكد أنه لم يقصد. لكني أشعر بغير ذلك، فقد نظرت في عينيه وهو يعضني، و رأيت قصدا.

طفلـــي الـــذي ينام بين ذراعيّ ينتفض فجأة وتكبر ملامحه. أحاول أن أستبقيه بجانبي قليلا. ينهض بسرعة قبل أن يأسره النوم وذراعي ثانية. يغتسل، يحلق ذقنه، ويعد القهوة.

يرتدي ملابسه بنفسه. اليوم لديه مقابلات رسمية.

أراقبه وهو يربط الكرافتة بدقة، وبنفسه.

ينظر إليّ. أومئ برأسي.

طفلي كبر.

وزراء خارجـــية، اجــتماعات تمهيدية، مؤتمرات قمة ثلاثية ورباعية وعشرينية...

أسبوع يمضي دون أن ألتقيه.

نتحادث هاتفيا.

عمل، مقابلات، وضيوف رسميون.

و لا وقت لي أو لنفسه فيما أظن.

أمر عليه بالمكتب سريعا.

أشكو له

المكــتب، الكمبيوتــر، الصــحف، الــبواب، بائع السجائر، الضيوف، الجامعة العربية، السفارة، شوارع وسط البلد والزمالك والمهندســين وطريق المطار، وغيرها، كلها لها فيك نصيب أكثر مني.

يبتسم مرهقا.
أقبل عينيه وأطراف أصابعه، وأطلع إلي فمه..
" ا مممم ... آههه "
" عرفت إن عض اللسان بيوجع"
" يا مجرمة "
أنظر إليه من عل.
" تؤ تؤ..أنا ربكم الأعلى.. أنا فرعونة ما تنساش"
" يا سلام... بتستغلي الموقف "
" لأ باخد حقي ... "
" يا سلام ..."
قام اليّ، وأخذني..
" طيب طيب.. بس من غير عض.."

يعــتذر عن اللقاء عدة مرات دون أسباب واضحة. أسأله عن ســـر التــباعد فـــلا يفصح. لا أفهم فأبتعد. يريد أن يكون وحده. أتســاءل بيني وبين نفسي هل زهق من وجودي في حياته.. أيريد وقــتا يراجع فيه نفسه، حياته، وحساباته.. لا بأس إن كان يرغب في الانفصال وإنهاء العلاقة.. لكن ليس بهذا الابتعاد التدريجي. أنا أفضـــل البتر. وسأكمل أنا دورة الحب لنهايتها بداخلي، بخيالي. لا أحــتاج لوجـــوده المادي، فقد وصلت لأعلى درجات الاشتياق في غــيابه. لكنـــي لم أمر بكل مراحل الحب بعد. لا يزال أمامي ألم الفـــراق، الحنـــين، اللهفـــة، الغيظ، الكره، اللا مبالاة، ثم الهدوء. فـــتغلق الدائـــرة وتنتهـــي الدورة. بإمكاني استدعاءه ومخاطبته، معاتبـــته ومداعبـــته. بإمكانـــي كل شيء. سأتحدث وهو سيستمع كالعـــادة ويظـــل صامتا. وهذا أفضل.. إذ ليس عليه أن يقول ذلك الكلام الذي عادة ما يحبطني. وإذا اشتقت لسماع صوته سأستدعي تلـــك الكلمـــات الحلوة القليلة التي كانت تفلت منه من حين لآخر. ســـأجعل شـــفتيه ترســـمان الكلمات التي أود سماعها مثلما يفعل الممـــثلون فـــي الأفـــلام المدبلجـــة، وأتخيل الصوت. فسأستدعي أطراف أصابعه وأقبلها على مهل، سأحكي له طرفة فيضحك كي أرى الفواصل التي بين أسنانه، وأقضم شفته السفلى... فأحبه أكثر وأكثر...

إلـــى أن أســـتنفد كـــل مغذيات الحب وأتعب. سأشعر بالملل عندئذ فأنهي اللعبة.

لا يطاوعني قلبي على نبذه. ولا أريد أن أهاتفه
أكتب نصا وأرسله بالفاكس.
لكل رسوله وصليبه
و أنتَ من بعثك الله إليّ
نورا
يملأ داخلي ويفيض خارجي
و صليبا
يرفع ألمي ويشهد تمزقي
لكل نبي مريدوه
و أنا مريدتك
التي تريد أن تنهل من عطر نورك
و تنثر ضياءه للكون كله
أنا مريدتك
التي تريد أن تكون بجانبك وأمامك وخلفك
لا لتحاصرك كما ستفهم أنت
إنما لتطيع كلامك إن أصبت
و تقود خطوك إن ضللت
و تستند إليها إن تعبت
و تضيء قلبك إن أظلم
مثلما أضاء نورك روحها من قبل
لكنك نبي مجنون
نبي يرفض نبوته

شخصــت إحدى صديقاتي حالتي بأنني لست " ست " بالقدر الكافــي. أي أننــي ليست لدي الحاسة الأنثوية التي تعرف كيف تصيد رجلا وتجعله يلهث وراءها. أقول لها أنني لا أصيد رجلا، وأنــي أحب إنسانا. تقول، " لكن يجب أن تشعريه بأنك مشغولة، وبــأن لديك اهتمامات أخرى، وأن ليس لديك الوقت الكافي دائما كــي تكوني معه." أجيب بأنني لا أعرف أن أدعي شيئا ليس بي، وأنــه لا يمكــن أن أكون محبة حقيقية وأنشغل عنه. أقول لها، " كــيف أشعر أنه يريد أن يكون معي وأقول له آسفة أنا مشغولة." تقول لي،" والنبي انتي هبلة". ربما.

نتقابل أنا وعلي فيما بعد...

" سأقول لك شيئا ربما لا يفترض أن أقوله..."

ينظــر إليّ بتساؤل واستغراب، فهو معتاد أن أقول ما عندي دون مقــدمات. أخبــره بنصــيحة صديقتي. يضحك كأنما حكيت طرفة.

" إيه "

" وليه ماتجربيش "

" إيه!!! فعلا.. انت عايزني أعاملك بالطريقة دي !!"

أهاتف صديقتي وأحكي لها ما دار." مش قلتلك انك هبلة

نعم أعتقد ذلك!

و صـــديقة أخـــرى قرأت ما سبق ورأت أنه لا يرقى إلي " رواية "، فالنص حتى الآن يفتقر إلى الحبكة الدرامية ولا يتطور، وأنـــه فـــي أفضل الأحوال قصة طويلة أو حالة شعرية خاصة إذا حذفت الأجزاء السردية. وصديقة أخرى رأت أن النص معلق في الفـــراغ، إذ لا تـــوجد بـــه أية أبعاد أخرى وغير مرتبط بالواقع. ورغـــم أنـنـــي شخصيا، الآن، لا أعرف كيف سأستكمل السرد إلا أنني لازلت أرغب في كتابة هذا النص - بلاش رواية - من دون أن أثقله بما هو خارج عنه. وربما... ربما أكون غير قادرة على كـــتابة روايـــة بالمعنـــى المتعارف عليه للمصطلح، أي خلق بناء مكـــتمل إلـــى حد ما يحمل رؤية ما (كلية، جزئية، متصدعة..) للعالم.

مـــن الممكن أن أقول للقارئ - إن كان سيفيده ذلك - السياق العـــام الـــذي تعيش فيه هاتان الشخصيتان. ومن الممكن أيضا أن أعطـــي بعـــض المعلـــومات عن هاتين الشخصيتين إن كان ذلك سيجعلهما شخصيتين ملموستين.

إذا، تـــدور أحـــداث الرواية، عفوا... ظهرت شخصيات هذا الـــنص في مصر ابتداء من عام 2000 وحتى لحظة الكتابة هذه، وقد تستمر لأطول من ذلك (الله أعلم). والقارئ المعاصر يعرف الأحـــداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية الخاصة بهذه الفترة والتي أكره حقا مجرد الإشارة إليها. والقارئ غير المعاصر - إن وجد - عليه أن يرجع إلى جرائد وصحف تلك الفترة إن رغب!

و كما ذكرت سابقا، ليس هناك شخصيات رئيسية سوى عين وعلـــى. عـــين امرأة في منتصف العمر تقريبا، ملامحها مصرية جدا ودائمة الفخر بأنها من نسل الفراعنة، باحثة اجتماعية لا ترى جدوى من أبحاثها. وتريد أن تحب.

علـــي رجل تعدى منتصف العمر، من دولة عربية " شقيقة " أجـــداده من البربر، صحفي يمثل بلده لفترة مؤقتة بمصر. وحتى هذه اللحظة لا يعرف ماذا يريد. ويعيش اليوم بيومه.

هل يكفي هذا؟ لا أعلم.

على كل حال..

سأستكمل الكتابة مثلما يتراءى لي الآن. وإن لم أفلح في كتابة نـــص ســـردي شـــيق فليعذرني القارئ. وفي هذه الحالة، سأعيد الكتابة في شكل أقرب إلى قصيدة نثر مطولة.

لنرى كيف ستسير الأمور!

ثم أدرت ظهري، وحاولت أن أدفئ نفسي بلف البطانية حول جسدي. لكن ظهري ظل باردا لأني لم أستطع أن أحيطه بالغطاء... فهو يرقد بجانبي.

كان كل شيء باردا جدا. الفراش والملاءة والغطاء. جسده فقط دافئ. حاول أن يدفئني فبردت يداه وساقاه. سكنّا قليلا. أفكر فيه وأتأمله وهو بجانبي...

" بتفكر ف إيه"

" ف ألف حاجة"

اغتظت. انتظرت. لم يضف شيئا.

كنا مستلقيين على ظهرينا. هو يضع كفه على عينيه اتقاء لضوء الشارع المتسرب داخل الغرفة، وأنا أنظر للسقف بلا مبالاة.

" إيه "

مرت دقيقة أو أكثر قبل أن أجيب بلا شيء. شعرت بالبرد أكثر من ذي قبل.

لم يحتوني بين ذراعيه كما كان يفعل. أدار ظهره لي.

كنت أشعر بالاختناق، بالحصار، وكنت طول الوقت أحاول التملص من ذراعيه بهدوء، لكنه لا يتركني. وشيئا فشيئا اعتدت أن أضع رأسي على ذراعه اليمنى وأن يلف ذراعه اليسرى حولي

ويشـبك كلتا يديه على صدري... وبدأت أشعر بالدفء. بالحب. بالاحتواء. بأنني جزء منه وهو جزء مني.

لم لا يحاول أن يلاطفني

أريد أن أغادر الفراش. لا أستطيع تحمل ملاصقة ظهره لي. لا أريدني بجانبه.

شـعرت برغبة في التدخين. نهضت. أدرت جهاز التلفزيون وأشـعلت سـيجارة. طلب مني سيجارة. أشعلتها له وجلست أتابع حوارا تلفزيونيا بملل، وهو يدخن سيجارته دونما كلام.

مـن الممكن أن أنام في الغرفة الأخرى. لكنني أعرف أنه لا يحـب أن يستيقظ ولا يجدني بجانبه. وماذا عني أنا. لماذا أضطر لأن أبقى في نفس الفراش وأنا لا أطيقه الآن.

عدت إلى الفراش مرغمة. لم يكن نائما.

حاولـت أن أنام، أن أفكر فيما يجب أن أفعله في الغد. يجب أن ويجـب أن ويجب أن... يقفز فوق كل شيء. ويلهيني عن كل الواجـبات التي يجب عليّ القيام بها. أغضب. أتقلب في الفراش. واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة،.... لا النوم يأتيني ولا هو.

بعـد فتـرة، أشعل سيجارة أخرى. ألتفت إليه. هو يعلم أني أتضايق من رائحة الدخان في الفراش. نهض وأخذ العلبة كلها إلى المطبخ.

أخـاف علـيه مـن البـرد. لم لا يأخذني بين ذراعيه. لم لا يحـاول. سأرفض مرة وثانية وثالثة ولكنني في النهاية سأقبله. لم لا يحاول فقط..

لم كل هذا البعد

لا يعنينـــي الأمر. فليذهب إلى المطبخ، فليذهب إلى الجحيم، فليحترق، فليبرد، فليختف... لا يهمني.

بـــدأت أشـــعر بالتعب من الكلام مع نفسي ومن محاولة النوم ومن محاولة الهروب من الإحساس بأنني أرقد بجانبه. في النهاية نمت.

استيقظ قبلي في الصباح. شعرت به لكنني تصنعت النوم.

اغتسل وحلق ذقنه ودخل المطبخ يعد القهوة.

وقف أمامي وناداني باسمي. فتحت عينيّ.

" صباح الخير"

" صباح الخير"

رددت بكل الحزن الموجود في الدنيا.

جلسنا صامتين نرتشف القهوة وندخن سجائر الصباح.

" نمت كويس"

" آه "

" نمت كويس "

" آه "

نكذب على بعض ونحن لم نعتد الكذب.

لـــم تعـــد بي رغبة في الكلام. لم تعد بي رغبة في أن أحدثه عن ألمي.

هـــو لا يفهم. أو ربما يفهم، لكنه لا يستطيع.. لا يستطيع أن يهب نفسه لحالة الحب، لهوس الحب، لحب الحب.

أشــتاق إلــى اشتياقي له، إلى لهفتي عليه وهو حاضر وهو غائب. هو يحبني فقط... لا يعنيه العشق... لا تعنيه التفاصيل.

أسأله بماذا تشعر عندما أقول لك أني أحبك. يجيب بأن الأمر لا يخــتلف سواء قلت أم لم أقل لأنه يعرف أني أحبه... ولكن ألا تشــعر بشــئ مخــتلف، بسعادة أكثر، بإحساس آخر. وأحاول أن أفهمه أنني أريده أن يقولها، أريد لأذني أن تستمتع بوقعها عليها.

" لها وقع السحر.. حاول أن تفهم. "

نظــرت إلى ذقنه، لم يجرحها كعادته. نهض يرتدي ملابسه، نهضــت أرتــدي ملابسي . ثم جلست على ذراع الكرسي الفوتيه أنتظر أن ينتهي من جمع أشيائه وأنظر إلى الأرض.

رفع رأسي إليه وقبلني ثلاث قبلات سريعة.

نظرت إليه وبعيدا عنه، في عينيه ووراء عينيه...

يبتعد.

عين تسعى إلى الحب
علي يهرب من الحب
كيف يمكن الجمع بين هذين الشخصين النقيضين؟
عين تقترح بضعة اقتراحات:
1- أن تحبه طول العمر
2- أن تحبه سنة قابلة للتجديد
3- أن تحبه إلى أن تقابل شخصا آخر
4- أن تحبه بعض الوقت
5- أن تحبه بعد عشر سنوات
تسأله تحب تختار إيه
يأخذ فراشه إلى الغرفة الأخرى.
تلمح ابتسامة على وجهه. تذهب وراءه.
" طب تحب أكرهك؟"
يضحك أخيرا ويجيب بنعم.
" طب بلاش الأوضة دي والنبي، بحس إنها غرفة التعذيب"
يعودان إلى الفراش الأرضي بالصالة.

و صار يتحاشاني ...
فـــي كل مرة نتقابل فيها، ندور في نفس الحلقة المفرغة من الأســئلة والاتهامـــات الصامتة التي تنتهي دوما بأن ينام كل منا غريبا في غرفة منفصلة.
يبدأ الحوار بتودد من جانبي وتجاوب من طرفه.
و فجـــأة تقفــز الأسئلة الشيطانية "إياها" إلى رأسي. أغمض عيني وأحاول إسكاتها، فتظهر في هيئة أخرى. أتقلب على صدره وأقــبله، يأخذنـــي بين ذراعيه. أطرد الأفكار الشريرة، تراوغني لفتــرة ثــم تجئ، تحيطني، تملأ رأسي بالضجيج، توجع صدري بالتنهدات وتذهب عني رغبتي الحميمة فيه.
أخضـــع. فتعلن الأسئلة عن نفسها بانتصار. تعلن عن نفسها. هــذا ما تريده إذن. هي لا يهمها الإجابات التي تعرفها مسبقا وقد ســمعتها مــرارا وتكرارا. ماذا تريد هذه الأسئلة مني... تريد أن تقــف حــائلا بيني وبينه، تريد أن يغضب كلانا الآخر، أن تفسح للزعل مكانا بيننا. أشرح له ما يحدث لي، وأطلب مساعدته كي لا تنتصر الأسئلة، فيرى أن من الأفضل ألا يجيب عليها.
أنزعج. ربما لا تهتم الأسئلة بالإجابات، لكنني أريد أن أسمع هذه الإجابات...و أبدأ
" ليه "

" لأنك عارفة كل الإجابات، أنت فقط تتعامين عنها."

" أتعامى عن إيه"

تتوسل عيناه أن أكف عن استنطاقه.

" هل تفضل الحب أم الحرية ؟"

" لقد قلت لك من قبل أنني لا أطيق القيود، وإنني لا أحب أن يحاسبني أحد، وأن حريتي هي أهم شئ في حياتي."

" هذا الكلام كان قبل أن تحبني. أنا أسألك عن الآن."

" لم أغير رأيي. أنا لا أتغير. حاولي تفهمي."

" يعني إيه لم تتغير، ازاي ما غيّركش الحب وأنا اتغيرت."

" أنا لست أنت، وقد سألتني عن رأيي فأجبتك بصراحة. لماذا تغضبين الآن."

" أنا مش غضبانة، أنا مندهشة."

" اندهشي. هذا شأنك."

أغضب. أشعر أني أُهنت. أبحث في عينيه عن إجابة ترضيني، يغمض عينيه وينسحب.

أدخل الغرفة الأخرى باكية. لماذا يعاملني بهذه الطريقة. لماذا يتجاهلني، لماذا لا يشعر بي. لأنه لا يحبني قدر ما أحبه.. لأنه لا يريدني قدر ما أريده. سأتركه..

غدا سأتركه.. لن أراه ثانية.. لا يستحقني.. لكنني أحبه.. سأتركه لفترة.. لن أهاتفه.. لن أمر عليه في المكتب.. سأسافر.. سأعرف شخصا آخرا.. سأتركه إلى أن يشتاق إليّ.. وهكذا إلى أن أتعب وأنام.

تدخل بارا مقفرا في بلدة صغيرة لا تعرفها الخرائط
و تضع قناعا مبهما يلائم شكل البلدة العشوائي
تفحص المشرب بنظرة محايدة
تحتل مكانا قصيا في ركن شبه معتم
تطلب كأسا من النبيذ الأحمر وتشعل سيجارة
تضع الساق على الساق كاشفة عن فخذيها
يخطو نحوها شاب مختال
يقترب منها رافعا كأسه
تنفث الدخان في وجهه وتدير رأسها
ثم لا يعجبها أداؤها
تفحص المشرب ثانية بنظرة الباحث عن مغامرة سريعة
تجده في الركن القصي الآخر
وحيدا يتناول كأسا من النبيذ الأحمر
تحمل كأسها وتذهب إليه
تجاوره
وتضع الساق على الساق كاشفة عن فخذيها
ينظر إليها باستفهام متعال
تعرف هذه النظرة جيدا
تغمز بعينها اليسرى وتبتسم ابتسامة مقدامة
قبل أن تفلت من نفس العين دمعة وتعبس الابتسامة
تثرثر بلغة أجنبية بالكاد يعرفها
لكنه يستمع

و في آخر الليل يأخذها معه
و في الفراش تقيس أصابع يديه
وتبحث عن فواصل ما بين أسنانه
تتركه يعبث بها قليلا ثم تنهض
عفوا: لست تشبهه إلا قليلا
قليلا جدا

أستيقظ على ندائه. سمعته يناديني برجاء. أذهب إليه أجده نائما ويشخر بصوت مضرور. كيف ذلك وقد سمعت صوته واضحا جدا. أتذكر أنني قلت سأتركه ولكن هذا النداء ألا يعني أنه يريدني أن أبقى....

أتحاور مع نفسي إلى أن أصل إلى النتيجة ذاتها...

أقمع غضبي وأتجاهل رغباتي وأتحايل على نفسي كي لا يزيد الزعل بيننا.

أذهب إلى فراشه.. يضمني إليه.
أفرح. أفرح كثيرا. أنام.
نستيقظ منهكين.
أرى ملامحه متعبة.
أشعر بالذنب فأعتذر وأعد بألا يتكرر ذلك...

كنت أعد حساء في وعاء من الألمونيوم على نار عجلى
نقص الماء وغلظ القوام
و وجدتني أفكر بأن هكذا هي الأشياء
تتبخر الفرحة ويرسخ الألم
وإذا تركت الحساء على النار -عجلى كانت أم هادئة-
فترة أطول،
و صبرت على الألم تاركا شأنه للأيام تبرده
سيحترق، وستلتصق بقاياه أكثر وأكثر بالقاع
و لن تمحى أبدا آثاره السوداء
إلا إذا قمت بعمل بطولي
من قبيل دعك قاع الوعاء بقطعة سلك
من نفس معدن الوعاء ، وبكل عزمك...
أو أن تتخلص تماما من الوعاء
بإعطائه لبائع الروبابيكيا مع كمية لا بأس بها
من الجرائد القديمة، مقابل طبق بلاستيكي مثلا.
أما إذا كنت تستخدم وعاء مصنوعا من مادة التيفال
فليس عليك إلا أن تضع فيه قليلا
من أحد سوائل التنظيف الحديثة
مع قدر من الماء.
تضع الوعاء على النار دقائق معدودة
و سيعود الوعاء كما كان، وربما أفضل.
و لكن عليك أن تنتبه،

فإذا سهوت سيحترق الوعاء ثانية
و مع تكرار الاحتراق ستفقد مادة التيفال خاصتها
و تصبح مثل وعاء الألمونيوم ذي الآثار السوداء.

ما هي المشكلة؟ ما هي المشكلة؟
لماذا تتراوح علاقتنا بهذه الطريقة الحادة؟ نكون سعداء جدا، وفي لحظة تنقلب الدنيا ونصبح كطرفي القضية الفلسطينية، يبيد أحدنا الآخر.
نزعل من بعض، لكني لا أقوى على البعد وانتظار أن يبادرني هو بالصلح. فأذهب إليه وأبذل جهدا عصبيا خارقا لأيام كي أزيح الزعل من طريقنا. صلحه يرهقني وهو يتمنع. لكني أحب تمنعه.
أحبه لرقته وفي رقته جبروت.
يتهمني بأننا ندور في الحلقة نفسها ولا نتقدم أبدا.
نعم، لأنك نصبت الحواجز في منتصف الطريق وقلت هذه حدودك التي لن تتعديها. كلما مضيت قدما أصطدم بحاجز فأرجع للبداية ثانية. أنت الذي تعيق تقدمي. أنت الذي تغلق الأبواب وأنا التي طول الوقت أحاول فتحها.
ينفي. ويقول أنه لم يكن أبدا مع امرأة مثلما هو معي الآن.
صدق عينيه ونبرة صوته يجعلانني أصدقه.
لكن هناك شيء ما يجعله .. يجعله... لا أعرف بالضبط.. لكن متباعدا ربما..

أتساءل بيني وبين نفسي لماذا لا تتطور هذه العلاقة.. لماذا الوصل ثم القطع... لماذا هذه الرغبة الغريبة المتبادلة لإنهاء العلاقة وعدم القدرة الحقيقية على فعل ذلك..

العلاقة تتضمن طرفين. وإن استطعت التحكم في نفسي فلا أستطيع التحكم في الطرف الآخر أو في شخصيته وتركيبته. تفاجئني نفسي. تقصدين لماذا لا تستطيعين الاحتفاظ به. فأرد على نفسي وكأني مسكت عليها خطأ. آه.. هذا هو إذن.. الاحتفاظ.. التملك.. أنت تريدين أن تحتفظي به لنفسك وهو يريد الاحتفاظ بنفسه لنفسه. هنا يكمن الصراع. كيف يمكن تملك شخص لا يريد أحدا أن يمتلكه.. إذن المشكلة في قدرتي. أنا أشعر بالإحباط لأني أنا لا أستطيع..أي أنا لا أقدر على فعل شيء أريده..أنا هي المشكلة. أنا.

أذهب إلى المستبصرة الأيرلندية، وأطلب منها استحضار روح والد علي. تقول فاني أن هذا أمر صعب للغاية دون وجود علي. وتطلب أن يأتي علي بنفسه. أخبرها بأنه لن يأتي أبدا. فهو إضافة أنه لا يؤمن بهذه الأشياء، لا يحب معرفة المستقبل، ويفضل أن تحدث الأمور دون تدخل منه. تسألني ما الذي أريده من والده. نصيحة ربما. هو يعرف ابنه جيدا. ماذا أفعل كي تنجح هذه العلاقة. تحاول فاني استحضار روح أبيه والتخاطب معها، لكنها تخبرني من البداية بصعوبة الأمر وبعدم تأكدها من النتيجة.

بطريقة ما تستحضره. تصف شكلا وتقرأ اسما. هذا اسمه، أقول " عبد القادر ". أخرج الصورة القديمة التي تضم علي، طفلا صغيرا، مع أبويه وأخوته. أتطلع إلى صورة الأب وأقارنها بوصف فاني للشكل الذي استحضرته. " نعم. يبدو أنه هو."

" يبدو أنه من الثوار الذين خاضوا الحرب ضد الفرنسيين." يأتي صوت فاني من بعيد جدا، وهي مغمضة عينيها، وكأنها في بلد بعيد رغم أنها تجلس أمامي مباشرة.

" هو فعلا كان كذلك، حسب كلام علي. وقد أصر على إرسال ابنه الذي لم يكن بلغ بعد إلى مدينة بعيدة عن قريتهم ليتعلم اللغة العربية التي منع تدريسها الفرنسيون في ذلك الوقت كشكل من أشكال التمرد وإيمانا بهوية بلده العربية. ثم أرسله إلى تونس لاستكمال تعليمه الثانوي بالعربية أيضا."

تـبذل فانـي جهـدا بالغا لاستنطاق روح عبد القادر لكنه لا يـتكلم. تهـز رأسـها نفيا. " فمه مزموم بقوة. يبدو أنه شخصية محافظـة وليس من النوع المتحدث." كأنها تصف علي. يشبه أباه إذا.

أتطلع مجددا إلى الصورة الأبيض والأسود التي التقطتها من درج مكتب علي من ورائه. أخبرني سابقا أن الصورة التقطت لهم قـبل أن يغادر القرية إلى المدينة. كان يبكي وهو متشبث بجلباب أمـه التـي لم ترغب في أن يبتعد طفلها عنها. لكن الأب، الثائر، كـان صـارما جدا، وهو ما يبين في الصورة أيضا. صار علي يحمـل الصـورة في كل بلد يذهب إليه. تعود على الترحال من الصـغر. ربمـا هـذا ما يجعله غير قادر على الاستقرار وإقامة علاقات طويلة المدى، لذلك كانت علاقاته دائما عابرة. أبتسم وأنا أتذكـر علـي وهو يقول إن علاقاته عادة تستمر ثلاثة أشهر، قد تمتد ستة أشهر. أتذكر أيضا كيف صحت بوجهه، " هو عقد إيجار شـقة قابـل للتجديد" وكيف ضحك علي من التشبيه الذي ربما به شـيء مـن الحقـيقة. الأغرب، أنه لم يكن يقيم علاقات إلا مع أجنبيات يجدن الإنجليزية التي لا يعرف منها سوى بضع كلمات، ولا يعـرفن الفرنسية التي يتقنها هو. " كيف تتحدثون إذا؟" سألته مرة، " لا نتكلم كثيرا. نستخدم الإشارات البدائية." هكذا هو إذن . ولأنه دائما على سفر يخشى التورط وتبعاته. ربما.

تفـتح فانـي عينيها، وتعود من رحلتها الاستبصارية. " ليس هـناك شيء أستطيع أن أقوله لك سوى أنك في علاقة مع شخص صعب جدا."

تتساقط أسناني للمرة الثانية في غضون شهور. أفزع وأنا أرى فمي فارغا في المرآة. أعيد تركيبها لكن ليس بالترتيب نفسه. لا يعود فمي كما كان. وعندما أمضغ الطعام أشعر بألم حاد حتى لو كان الطعام لينا.

أقول لنفسي يجب أن أصل إلى قرار. لكن ما هو القرار؟

سأخيره إما أن يكون معي أو لا يكون معي.

هل هذا سؤال جديد؟ لا.

أرتدي فستانا ألوانه ربيعية والحلي الفضة التي أهداها لي.

أذهب إليه في المكتب. يستقبلني بحرارة. أنظر إليه بشك.

يسألني لم أرتدي الحلق والاسورة ولا أرتدي العقد.

أتحسس رقبتي، لا أجد العقد. لكنني لبسته. أنا متأكدة.

" ربما فقدته في الطريق."

" سأذهب لأبحث عنه "

" لن تجديه. لا داعي للبحث. سأحضر لك غيره في العطلة القادمة."

أخبره بحلم الأسنان. يقول أضغاث أحلام.

نذهب إلى تشيزا عدلي. نطلب ستيلا وطعاما خفيفا.

لا أشعر برغبة لا في الأكل ولا الشرب.

" سأحضر لك غيره."

" أن تضـــيع مني أول هدية منك فأل سيء، معناه بالنسبة لي أنـي سأفقدك أو أن العلاقة ستنتهي."

" بلاش خرافات"

" سأذهب للبحث عنه في الأماكن التي سرت بها."

" لا تتعبي نفسك. لن تجديه."

" سأجده."

أعود بعد نصف ساعة وأنا أفكر في معنى العلامات.

أجلس قبالته وأتأمله.

" قلت لك لن تجديه."

أضعه على الطاولة أمامه.

" ها هو لكن مشوه. وجدته في عرض الطريق."

" لا تزعلي. سأشتري لك بدلا منه."

" شيء ما سيشوه علاقتنا."

يصرخ وهو نائم بجانبي. أنهض وأنظر إلى وجهه. يبدو كمن يصارع أشباحا أو كمن يحاول الفكاك من قبضة ما ولا ينجح. لا أعرف هل أوقظه أم أتركه يكسر صمته.

أسأله في الصباح لم كان يصرخ. ينظر إليّ باستغراب ويرد على السؤال بسؤال،

" هل صرخت؟"

" نعم"

" وهل قلت شيئا؟"

" كنت تصدر أصواتا متقطعة تشبه الكلام لكن مش واضحة."

" ربما كانت كوابيس."

" هل أوقظك من النوم إن صرخت ثانية؟"

" لا.. اتركيني أصرخ"

تكـرر الصـراخ ليالـي متعددة. ساءلت نفسي ألم يعد ينام مطمئـنا معي مثلما أخبرني في البدايات. المرأة التي يحبها الرجل هـي التـي يرقد جوارها مطمئنا. أليس كذلك يا كونديرا. هل فقد علي حبه لي؟ لماذا أفكر بأنه " فقد "؟ أليس من الممكن أن في ذلك راحة له. الفقد لي أنا إن شئت.. ولماذا أعقد الأمور .. لم لا يكون الأمـر مجرد كوابيس أو مشاكل ما .. مشاكل ما.. أنا لا أفكر إلا في المشاكل..

لم يصارحني.

عــرفت مــن صديقة مشتركة لنا، من بلده. الخبر وقع على رأسي كالمطرقة. لكني لم أصرخ من الألم.

فقط ذهلت. وبالمصادفة – أو للمفارقة– كنت أستلم هدية من صــائغ قــرب مكتبه، كنت قد أوصيته بطلب مخصوص. سرت حائرة. لا أعرف ماذا أفعل بالهدية. صارت بلا معنى أو مناسبة.

الحقيقة هناك مناسبة!

صــعدت درجات طوابق البناية القديمة وقبل أن أطرق الباب نظرت إلى وجهي في مرآة الطرقة. ملامحي في غيبوبة.

هذا أفضل! إذ ما الذي يجب أن يرتسم على وجهي الآن؟

غضب. حزن. ألم. كره. لكني لا أشعر بشيء حاد.

مفارقــة الخبر واستلام الهدية جعلا مزاجي أقرب للتهكم من أي شيء آخر.

صار السؤال

كيف سيكون رد فعله عندما يعرف أني عرفت

و مع المعرفة هدية!

أطرق الباب

يفتح مرحبا ويقبلني في خدي كالعادة

نجلس. ننظر إلى بعضنا بترقب.
هو ينتظر أن أبادر أنا بالكلام وأنا لا أجد ما أقوله.
أقدم الهدية. يسأل ما هي
سلسلة من الذهب بها دلاية منقوش عليها التالي
أقرأ له:
"أنفه يغوص في خصلات شعري المتموجة
يتنفس هوائي المعبق برائحة الحنة
و في الصباح أتحسس شعري
أجده رطبا ببخار الليل المتقطع
مشعث وملبك"
ينظر باستفهام.
أضطر للشرح.
أردت أن أهديك شيئا له معنى لكل منا
الأنف أنفك، الشعر شعري،
أنت تتنفس، الهواء هوائي.
لا يفهم.
لا يهم.
يضعها حول رقبته.
لست مضطرا لارتدائها.
أقول،
وأخرج دون أن نتحدث في الموضوع.

أتعثر في الكتابة مرة أخرى مثلما تعثرت عين في مشاعرها بعد مقابلتها الأخيرة مع علي. وأنقطع عن الكتابة شهورا مثلما تنقطع عين عن علي وعن نفسها. تعثري الناتج عن القطيعة مع الكتابة كان بسبب أحداث سياسية إقليمية. ولم يكن من الممكن حينها- هكذا اعتقدت- أن أستكمل هذياني عن الحب والحرب دائرة بالجوار. إلا أنني بعد انسحابي، غير المبكي عليه، من المشهد السياسي بعد أن أدركت عبثيته وبعد أن تأكد لي وهمية القضايا الكبرى، تجلى لي أن ما كنت أعتبره هذيانا هو أكثر حقيقية مما عداه.

تفلت مني اللغة، فقد توقفت عن الكتابة والقراءة معا. لا تأتيني سوى لغة قنوات الأخبار التي كثيرا ما تكون مضللة.

أفتقِدِ عين ولغتها ومشاعرها.

أعيد قراءة ما كتبت وأتخيلها من بعيد. كيف كانت ستعبر عن تعثرها في استئناف السرد بعد كل هذا البعد. ربما ..

كي أنشئ سطرا واحدا من هذه المقاطع

عليّ أن أسترجع كثيرا من لحظات الفرح الحر

ساعات الألم المتشنج

أيام الحزن المستقر

ليالي الاشتياق القارص

شهور الانتظار وخوف الفقد

و سنوات ستحمل بقايا ذكرى

تتآكل بفعل الكبر

ربما...

البتر.

هذا هو الحل.

أذهب إلى واد بعيد بصحراء سيناء. أريد أن أبتعد قدر الإمكان.

يتصل مرارا، ولا أرد على الهاتف. ليس عندي ما أقوله. ماذا يمكن أن أقول لرجل خاطب ويستعد لزواج؟ أحاول أن أكون قوية أمام نفسي. أقمع كل مشاعري وأتعامل فقط مع قرار البتر. أقطع الوادي ذهابا وإيابا. أنا امرأة حرة، وهو أيضا رجل حر، ترد نفسي عليّ. لم الغضب إذا. أنا لست غاضبة. هو قال إذا تزوج فستكون امرأة من بلده. صحيح لكنه لم يقل أنه سيفعل ذلك من وراء ظهري. هل كنت تريدينه أن يخبرك من البداية بأنه خاطب فيفقدك. إذن هو يريد أن يحتفظ بي دون أن يخسر أيضا المرأة الأخرى. أشعر بالقرف. كيف يمكن أن نقضي معظم الوقت سويا، نأكل معا، نشرب سويا، ننام ونستيقظ معا وهو يرتب زواجه من امرأة أخرى.. إذن هو لا يحبني، هو يتسلى، يقضي الوقت معي إلى أن يعود إلى بلده ويتزوج تلك المرأة؟ لكنه يحبني. أنا متأكدة انه يحبني. لكن كيف يحبني ويتزوج من أخرى؟. يعني هل كنت تريدين أن يرتب زواجه منك إذن. طبعا

لا، أنـــا لا أريد أن أتزوجه. ماذا تريدين إذن؟ أغضب من نفسي وأسكتها.

لكن السؤال لا يتركني. أنا ماذا أريد.

أتذكر أسناني التي سقطت وصراخه وهو نائم بجواري.

أشعر بالوجع. أنا أريد أن أكون معه. لكني لن أكون معه. لقد قررت. أكرهه لأنه دفعني إلى هذا القرار.

أبكي. لم تبكين يا عين. وحشني.

أخلع حذائي، وأخاطب ربي.

يا رب لا أعرف هل أشكرك أم أعاتبك

هل أشكرك على الحب الذي وهبتني إياه

أم أعاتبك على المحبوب الذي يهرب من الحب

يا رب إن كنت عليما بحالي

أنا التي أتوق إلى الحب

و به الذي يفر من الحب

فلم جمعت بيننا

يا رب صدقتك وحمدتك كثيرا

أغويتني

فلم تحرمني الآن

أم أنك تختبرني

يا رب منحته قدرة التحكم في المشاعر

و منحتني أنا القدرة على الحب فقط

وقد أصبحت في غير محلها.

فما الحكمة؟
إن كان لابد من فراق فليكن مؤقتا وألا يطول
و إن لم يكن خير في هذا الحب فلتصرف قلبي عنه
و لتسامح نفسك يا رب.
أتمــدد علــى عشبة صغيرة وأتطلع إلى السماء وأبدأ في عد النجوم التي لا تحصى إلى أن أغفو...
كتلة سوداء تسد الفتحة اليسرى لأنفي وتعيق تنفسي. ..
تنفلت فجأة وتطير فأفتح لها باب الغرفة..
تنفتح نافذتي عن آخرها ويدخل طائر أبيض..
يترك لي بعضا من ريشه ويعاود تحليقه..
أتنفس..
أستيقظ فجرا صافية. أتحسس فتحة أنفي اليسرى. أنا بخير.
أفكر بالحلم. ما الذي يعيقني؟ مشاعري أم أفكاري؟
بماذا أشعر؟ براحة. وماذا أيضا؟ بحب.

أطيـــر الى القاهرة، وأحط في منزله. ينظر إليّ نظرة تملؤها كــل المشـــاعر التي شعرت بها وأنا في سيناء. نحتضن بعضنا. ونستأنف ما انقطع من وصال.

" ليه مشيت وليه رجعت؟"

" مش عارفة مشيت ليه، لكن عارفة رجعت ليه."

" ليه؟"

" جيت أصالح نفسي على نفسي."

لم تكشف لك امرأة ما كشفت لك من نفسي

و كيف لا أفعل والنفس لا تخفي عن النفس شيئا

و أنا أيضا يا عين لم أكن مع امرأة قط مثلما أنا معك

و لم أأتمن أحدا على روحي مثلما ائتمنتك

عيناه تصرحان بحب عميق على استحياء

ولسانه يبوح همسا كمن يخشى افتضاح أمره

أحتضنه بين ذراعيّ، وأقّبل جبينه وعينيه

لماذا إذن

و إذا حدث وطلبتك للزواج ارفضي

علي...

غيّري الموضوع رجاء.

أُصر...

يفلت من حضني بهدوء.

يستلقي على الكنبة. يغمض عينيه. ينسحب.

أذهب إلى المطبخ. أبكي وأنا ألتهم كل الطعام الذي حضّره لكلينا، ولا أترك له شيئا. أبتلع ثلاث كؤوس كبيرة من الويسكي، وأذهب إلى الغرفة الأخرى. أتكور على نفسي في فراش بارد. أمعائي تتعصب. أذهب إلى الحمام أتقيأ ألمي.

يتبعني علي. يقف بجانبي إلى أن أنتهي. ثم ينظر إليّ معاتبا.

يمسك بيدي ويأخذني إلى فراشنا الأرضي. نستلقي على ظهرينا.

" علي، أنا أكلت الأكل كله"

" ما انت رجّعتيه "

" انت كان عينك فيه؟"

ألمس ابتسامته في الظلام

"طب انت مش جعان، أحضّرلك حاجة تانية، في جبنة في التلاجة"

"لأ، خلاص أنا هنام، نامي انت كمان"

" متأكد"

" أيوة"

يشد الغطاء علينا.

يدفس أنفه في شعري، يشبك ذراعيه على صدري، ويعلو شخيره.

أن تكون على الحدود
لا هنا ولا هناك
و ترغب في أن تكون هنا وهناك
في تلك النقطة الوسطى
المنطقة الشائكة
ماذا يسعك أن تفعل
هل تحمل حقائبك وتعبر نقطة الحدود إلى هناك
أم تقفل عائدا إلى هنا
في الهنا هنا(ء) مطلق
ربما لي ولك
و هنا- أيضا- تحمل نا المعية
و في الهناك، هنا(ء)ك أنت وحدك
دونما أنا أو (نا)
ربما تفضل أن تظل على الحدود
بين بين، لا هنا ولا هناك
و تعفي نفسك مسؤولية اتخاذ القرار
إذ ربما تنهار الحدود من تلقاء نفسها
فتصبح حرا تماما، طليقا تماما.

في خفة الكائن التي لا تحتمل، يتأمل كونديرا فكرة الخفة والثقل. فيقول أن أثقل الأحمال تسحقنا وتجعلنا نلتصق بالأرض. ولكن في كل أشعار الحب – على مر العصور – تشتهي المرأة أن تثقل بجسد الرجل. لذا فإن أثقل الأحمال هو في الوقت ذاته صورة التحقق الأكثر كثافة للحياة. وكلما ثقل الحمل اقتربت حيواتنا إلى الأرض وصارت أكثر حقيقة وصدقا. والأكثر من ذلك، الغياب التام للحمل يجعل الرجل أخف من الهواء، ليحلق في الأعالي، ليتحرر من الأرض ومن كونه أرضيا، ليصبح نصف حقيقة، ولتصبح حركاته حرة بقدر ما هي غير ذات أهمية.

ماذا ستختار إذن؟ الثقل أم الخفة.

ماذا ستختار يا علي؟

لا أعرف كيف أتعامل مع تردده. لا أعرف.

أضـــعه فـــي خندق، وأطالبه بإجابات صريحة. يقول إنه لا يعـــرف. يفزعني تراوحه. فأبدأ في استدرار المشاكل رغما عني فـــي أي مكـــان، فـــي المكتب، في البيت، في البار، في الشارع. يبـــتعد، فأنهـــار، فأعـــود باكـــية. لا يصمد أمام ضعفي وضعفه، وتتوسل عيناه أن أكف عن تعذيبه وتعذيب نفسي.

سأروض نفسي المستثارة دائما
على الابتسام بهدوء حتى في أقسى المواقف،
تماما كما يفعل اليابانيون عندما يستبد بهم
الغضب أو القلق أو الحزن.
سأبتسم كي أكون لطيفة أمامه
كقطعة الحلوى المستوية على الرف
تغري الناظرين إليها، و تنتظر من يدفع ثمن تذوقها
و تقبل في النهاية بأن يخرج ما لم تستطع المعدة تذوقه
مع الفضلات الأخرى من فتحة إخراج واحدة.
سأبتسم لأنني عندما نظرت إلى وجهي في المرآة
حين بكيت، انزعجت من ملامحي.
سأبتسم و أغمغم ببضع كلمات لا معنى لها

لن يسمعها في الغالب، و لن يفهم
أنني عندما أبصر من حافة نفسي إلى داخلي
أجد فراغا دائريا يستطيل
يحفر وحدتي بتأن بالغ و تصميم
أجزع و أرتبك و أرتكب ما يسميه هو حماقات
سأروض نفسي على ألا تستثار
سأبتسم أمامك ابتسامة الفتيات اللطيفات المهذبات
سأتشبث بالوحدة الأقل
كي لا أنزلق من على الحافة.

أُجلـــس جدتي في مقعدها المفضل. وأصنع لكلينا كأسين من مشـــروبها الروســـي المخصوص، الذي يقطره أخيها بالبيت في ريـــف روســـيا. أتخـــيل أنها تنظر إليّ، رغم أنني في الحقيقة لا أعرف إن كانت ترى حقا أم لا. فهي طول الوقت مفتوحة العينين إذ بطـــريقة ما ومع الوقت اختفى جفناها دون أن يلحظ أحد ذلك. ولـــم تتحدث هي في الموضوع. نعرف أنها نائمة فقط من صوت شخيرها.

أناولهـــا كأســـها. واسترضاء لها، نشرب في صحة \ رحمة عبد الناصر.

أحكـــي لهـــا الموضوع. يبدو أنها تستمع. لكني لست متأكدة. أسألها ماذا أفعل. تهز رأسها بنوع من الأسف. أسألها من المخطئ فيـــنا. تهـــز رأسها مجددا. أصب لها كأسا آخر لعل ذلك يساعدها على استجماع أفكارها. يجيئها الوحي بالروسية.

" نينة أنا مش فاهمة حاجة، اكلمي عربي"

أضطر للاستعانة بالقاموس. تقريبا تعني أنه لا فائدة من هذه العلاقة، وأنني أُ ضيّع وقتي. أقول لها لكنني أحبه وأريد أن أكون معـــه. تصـــمت طويلا حتى أنني أظن أنها نامت. " نينة...". ترد بلغتها. أفتح القاموس مجددا.

" إيه..."

أضـــحك عالـــيا ولا أســـتطيع أن أتوقف. لا أصدق ما تقوله جدتي..." أسحر له.."

" أسحر له إيه بس يا نينة.. ده كلام برضه"

أنتـــبه فجأة إلى صوت شخيرها. أضحك رغما عني وأنا آخذ الكـــأس الفـــارغ من يدها. أذهب بها إلى الفراش وأتمنى لها نوما هنيئا وأحلاما سعيدة. ترد بشخير منغم.

" أسحر له.."

الفكرة على غرابتها، لاقت هوى في نفسي.

عـــن طـــريق بعض المعارف، توصلت إلى واحد من هؤلاء الشيوخ الذين يستخدمون السحر و" العمل"، ويقال أن " سره باتع". أذهـــب إلـــيه فـــي بيـــته بأحد أحياء القاهرة القديمة. الرجل الذي اعـــتقدته شيخا كبيرا كان شابا لا يتجاوز الثلاثين. ويرتدي ملابس عاديـــة جدا لا توحي بأي سحر على الإطلاق. أو على الأقل ليس كما تخيلت أو كما نشاهد في الأفلام. لوهلة فكرت أنه ربما نصاب وأردت أن أعـــود أدراجي. لكن الرجل لم يعطني فرصة للهرب. أمرنـــي بالجلوس على الأرض الطينية. وأشعل أنواع مختلفة من الـــبخور. داخلني خوف. سألني ما العمل الذي أريده. فقلت عمل محبة. طلب صورة تجمعني أنا والشخص المراد له العمل وشيء مـــن أثره به رائحته. سألته عن طريقة تحضير العمل. رد بأشياء مـــبهمة لـــم أفهم منها سوى أنه سيسخر واحدا من الجن الطيبين

ويستخدمه للتأثير في الرجل الذي أحبه ويجعله مهووسا بي. قلت بسرعة أنني لا أريده مهووسا، لكن فقط ألا يبتعد عني.

اتفقنا على موعد آخر في الأسبوع التالي بعد أن أحضر الصورة والأثر.

الصورة أمرها سهل، أما الأثر... كيف آخذ منه قطعة من ملابسه الداخلية بها رائحته؟

أخذت أفكر في الموضوع. وهل أنا جادة فعلا أم أنني أتسلى؟ جزء مني يصدق أمر الجن، وجزء آخر غير مقتنع، وجزء يبحث عن المغامرة، وجزء يخشى العواقب. ماذا لو مشيت في هذا الطريق ولم أعرف كيف أعود، ماذا لو تبدلت ولم أعرف نفسي. ماذا لو أصاب علي ضرر ما، أو تبدلت شخصيته وصار شخصا آخر غريبا عني. وماذا لو زاد العمل عن حده وصار علي مهووسا بجد، وأخذ يتبعني كظلي أو يسير ورائي مهوش الشعر كمتسول مجنون. ماذا لو لم يعجبني العمل، كيف أفكه؟

أنتهي إلى أن الموضوع أكبر مني والأفضل عدم اللعب في هذه الأمور.

و إذا كان علي لا يريد أن يكون معي بإرادته الحرة فلن أبقيه بالسحر ولن أستجديه.

في الطريق إلى مكتبه، تقع عيناي على كتاب عن السحر ملقى وسط كوم من الكتب القديمة والمستعملة. أتردد لحظة ثم ألتقط الكتاب وأنفض عنه الغبار. " تسخير الشياطين في وصال

العاشـقين". أبحـث عن الفهرس. لا يوجد، ولا صفحة محتويات كذلك. يسألني البائع بنفاذ صبر إن كنت سأشتري أم سأقرأ الكتاب ببلاش وأنا واقفة أمامه. أدفع ثمن الكتاب وأذهب إلى مقهى قريب من مكتب علي. أطلب شايا وأجلس أتصفح الكتاب. رسوم هندسية بدائـية وبخـط اليد، عناوين داخلية عن أعمال مختلفة، منها عمل المحبة، وحروف متلاصقة لا تشكل أي كلمات مفهومة. تحت بند المحـبة أجـد وصفا يستحيل تنفيذ أحد خطواته وهو ترديد طلسم معـين ألـف مـرة. والفكرة هي أن ترديد بعض الأصوات دون توقـف يؤثـر بشكل ما ويؤتي بالنتيجة المرجوة. لكن كيف أصل إلـى المـرة الألف دون أن أخطئ في العد. أشرب الشاي وأذهب إلى علي.

يرحب بي بود شديد. فأنفجر ضاحكة. بيني وبين نفسي أقول العمل الذي لم أعمله جاب نتيجة. يسألني عن سبب الضحك. فتبدأ نـوبة ضـحك جديـدة. يتركنـي ويستأنف عمله. أفيق من نوبة الضحك أخيرا.

أخرج الكتاب من حقيبتي وأجلس على رجليه. وأقرأ له عمل المحـبة الـذي يكتب على بيضة سبتية. يبدأ في ضحك متواصل. وعـندما أصل إلى الطلسم الذي يجب ترديده ألف مرة على قطعة سـكر ينفخ فيها ثلاث مرات بعد كل عشر عدات، " ملكش بلكش شهشـهه كشـكه لاشـلاش مهـيوش جلجميش"، يقول من وسط ضـحكاته،" لو رددتي الطلسم ده ألف مرة، هديكي ألف جنيه.. ".

ثـــم أحكي له عن زيارتي للرجل الذي يحضّر الأعمال. هزّ رأسه وقال،" انت مجنونة."

" ليه عايزة تعملي كدة؟"

" عشان تفضل معايا"

" ما احنا مع بعض"

" طيب عشان تحبني قد ما بحبك"

" ما أنا بحبك وانت عارفة"

" صحيح؟ طب ليه بتحبني؟"

" صــدقك وبــراءتك وتلقائيتك... وجنانك ..ما شفتهمش في ست تانية"

يكـــاد السؤال الكابوسي يفلت من فمي، فأعض لساني خطأ. يلحـــظ السؤال على وجهي، فيضحك. ويعلق على عضة لساني،" أكيد كنت هتسألي سؤال بايخ."

" آه...". نضحك سويا. ثم يأخذ لساني في فمه في قبلة طويلة كالحلم.

" طعمك حلو أوي يا علي"

"صحيح؟"

" عايزة أكلك.."

" كُلي"

أخمشه، وأقبله، وأعضه. تصيبه الحرارة فيفعل مثلي.

أقرأ ساحر الصحراء ل باولو كويهلو وتستوقفني فكرة أنه إذا رغب المرء في شيء بإخلاص تولد هذه الرغبة في روح العالم ويتآمر الكون بأسره لتحقيقها. أنا أؤمن بكل المخلوقات النابض منها والذي يبدو جمادا، المرئي وغير المرئي. كل منا يحمل بداخله ويجسد روح العالم. وعندما أتمنى شيئا أتمناه من الكون كله. لكن هل يكفي ذلك لتحقيق ما أتمناه. أتحيّر بين قدرتي التي هي من الله وبين قدري المكتوب الذي هو من الله أيضا. هل من الممكن تغيير المسار المكتوب. لكنني لا أعرف أيضا ما هو المكتوب وكيف ستنتهي الأمور. أنا في الطريق، وأعتقد أنني لن أعرف إلا في نهايته والتي تعني أيضا نهايتي، أو على الأقل نهاية هذا الشكل من الحياة.

رأس السنة الجديدة بعد أيام. أسأل علي أين يحب أن نقضيها.

" لن نقضيها معا"

" ليه؟ عندك سفر؟"

ينظر إليّ متوجسا رد فعلي. ثم يقول ببرود،

" خطيبتي جاية"

أتذكر أن هناك امرأة أخرى مجهولة الهوية بالنسبة إليّ كنت بشكل ما قد تناسيتها. لكن ذلك لا يمنعني من سؤاله باستغراب بل وباستنكار، " ليه؟"

" عايزة تشوفني."
لا زلت لا أفهم وأصر، " ليه؟"
يبتسم علي أمام استغرابي.
" يا عين، خطيبتي وعايزة تشوفني، أقولها لأ!!"
" آه قولها لأ، قولها انك مشغول"
" مقدرش"
" قول بقى ان انت اللي عايز تشوفها"
يدير وجهه الناحية الأخرى.
" مش هتشوفها يا علي"
" ازاي يعني، هتمنعيني؟" يسأل بغيظ.
" مش هخليها تيجي"
يضحك باستخفاف.
" ايه هتعملي لها عمل"
أضحك أنا أيضا وأجيب بتحد العارف، " بقولك مش هتيجي، هتشوف. وأقولك كمان حاجة.. مش هتتجوزها"
لا نتحدث في الموضوع ثانية.

قبل نهاية العام بيوم، يتصل علي ويسألني أين أحب أن نقضي رأس السنة.

أنا من صنعتك نبيا
لكن لا تنسى أبدا

أنني الإلهة
أنا اصطفيتك لنفسك
و أنت اخترت العبودية لأخرى
ابتعد كما تشاء
لكن الخيار ليس لك
لأنك مربوط بي بحبل صُري
اذهب
فأنا أعرف كيف أشدك لي
و لن تذهب حقا
إلا حينما يكتمل الحمل
و أقطع الحبل
فاصبر قليلا
سيحين موعدك

مـــع دخـــول الصـــيف واقتراب موعد عطلته، نمط التباعد والتواصـــل، الذي صار سمة هذه العلاقة، يزداد حدة. وتعلو معه درجة توتري، وعدم قدرتي على الفعل.

يتراكم الغضب ويتصاعد بداخلي
أتصيد الأخطاء المقصودة وغير المقصودة
و أتحين الفرص
و لحظة الانفجار
أغمض عيني وأوقف تنفسي
أتلاشى
هذا أفضل، أقول لنفسي
و في خيالي أصنع الشجار كيفما أشاء
نكون أربعة مثلا نتناول العشاء
ثلاثة منا من بلد واحد
و أنا من بلد آخر
يتحدث الثلاثة بلغتهم
و أنا لا أفهم
ألمح له
يقول: أشياء لا تخصك

و يستأنف كلامه
أتخيل رد فعلي:
أنتفض قائمة و أقول:
لا تدعوني ثانية إلى مجلس
تتحدثون فيه عن أشياء لا تخصني
و أغادر المكان نافرة
أو
أنهض بهدوء و أخبره
أني سأجالس آخرين
يتحدثون عن أشياء قد لا تخصني
لكن بلغة أفهمها
ثم أبحث في ردتيّ فعلي:
الأول سيغضبه، لكنه قد يمسك يدي
و يغيّر الحديث إلى أشياء أخرى بلغة مشتركة
فأجلس متحفزة
الثاني سيجرحه، وقد لا يغفره لي
فأخاف أن أفقده
و أخسر فرصة أخرى لإنهاء علاقة
نحاول إنهاءها منذ بدأناها.

لسنوات تزورني امرأة بساق واحدة في الصيف. وقبل طلوع الشمس، كل يوم، تستند إلى عكازها المعدني، تتمشى من بيتي إلى شاطئ القمر البدوي وعيناها مثبتتان على نقطة ما بداخلها. وليلة اكتمال القمر، تسير الأمتار القليلة من بيتي إلى حد الشعاب المرجانية. تضع عكازها جانبا وتجلس متربعة، ساقها الكاملة فوق الساق المبتور نصفها، وتنظر أمامها إلى الطلوع الخجول لبدر برتقالي من خلف الجبال البعيدة. وعندما يرتفع القمر في السماء ويتحول نوره البرتقالي إلى فضي، تنهض المرأة من جلستها مستندة إلى عكازها وتعود إلى البيت. هذه المرة، عند طلوع القمر، لم تكن المرأة جالسة كعادتها. كانت واقفة على ساقها الوحيدة بدون العكاز وعيناها مثبتتان على نفس النقطة بداخلها. وعندما انبسط الممر البرتقالي أمامها وداعب أصابع قدمها الوحيدة، أحنت ساقها ودفعت بكل جسدها إلى الطريق. من نافذتي لم يكن هناك سوى عكاز معدني يتلألأ على حافة الماء وقمر يواصل صعوده الهادئ إلى سماء اختبأت منها النجوم.

أشعر بروحي وهي تدخل إلى جسدي بعد انتهاء تجولها الليلي. أفيق من خدر الحلم ولا أنهض من الفراش. أفكر في مغزى الحلم، في المرأة المعوقة، في العكاز، في البحر والقمر والطريق.

أحكـــي لجدتي الحلم بتفاصيله. فتقول لي، " لست معوقة كي تســـتندي إلى عكاز. الطريق مفتوح أمامك. امشي." أسألها وكأني أسأل نفسي، " أمشي ازاي يعني؟"

لكني أعتقد أني فهمت الحلم وفهمت ماذا تقصد جدتي. المهم كيف؟

أتزين وأرتدي ثوبا صيفيا خفيفا وأذهب إلى علي في المكتب.

أجلــس علــى رجليه وأتدلل عليه. يستغرب مزاجي اللطيف ويداعبنـــي بعينـــين ضاحكتين. أنظر الى عينيه وأحاول أن أكون جادة قليلا، لكن يغلبني الضحك. فيسألني علي، " ايه عايزة تحكي ايه؟"

أتخذ وضع من سيلقي بقنبلة.

" ايه رأيك ننفصل؟"

طبعا لم ينفجر، فالقنبلة منزوعة الفتيل من زمان.

" ليه؟ زهقتي؟"

" انت عارف اني ما بزهقش منك أبدا."

" تعبتي؟"

" لأ، بس علاقتنا مختلة."

" ده صحيح"

" وكل واحد فينا بيحاول ينهيها لوحده."

" وبعدين؟"

" فبقول يعني لو نتفق وننهيها مع بعض."

" موافق."

" بالسرعة دي."

نضحك. ثم أقول له إنني أحبه، وهو يعرف، وأنه يحبني وأنا أعرف. وأن العلاقة شيء والحب شيء آخر. وأنه لم يعد هناك فرق أو فراق، لأنه بداخلي مثلما أنا بداخله. وأنني أخشى على الحب من هذه العلاقة المختلة. كذلك لا أريد أن تنتهي العلاقة بشكل درامي.

" موافق يا علي؟"

" موافق."

" ولو ضعفت واتصلت بك ما تردش عليّ، وانت لو ضعفت، ولو إني أشك، واتصلت، أنا مش هرد عليك."

يتدلل وهمة الانفصال ضاحكة في عينيه، ويقترح،

" طيب نشرب بيرة في صحة الانفصال.."

أحضنه وأقبله وأضحك.

" بموت فيك.. نشرب بيرة في صحة الانفصال.. بس احنا اتفقنا خلاص."

أبتهج لأننا استطعنا أخيرا إنهاء هذه العلاقة بشكل حضاري.
أبتهج لدرجة السكر، وأظل أهنيء نفسي على هذا الإنجاز. أشعر بالحرية، بالطفو، بالخفة. لماذا نعتها كونديرا بأنها خفة لا تحتمل. الخفة شيء رائع.

لكن مع خفوت زهو الانتصار، تثقل الخفة وتصبح شيئا غير محتمل. تنغلق الحرية عليّ، وأصبح سجينة فراغ عبثي تماما. ألمس جسدي، أنظر إلى نفسي في المرآة. أرى شخصا يشبهني، لا هو امرأة ولا رجل، كائن محدد وغير محدد في ذات الوقت. أنا موجودة، لكني لست أنا كما أعرفني.

لا أشعر بألم ولا أشعر بفرح. أخشى أن أكون قد مت دون أن أنتبه.

كلما تضاعف الفراغ، تضاعف هدوئي. أستسلم لخدر الفراغ لوقت لم أعرف أحسبه. ويتولد شوق أعرفه ولا أعرف كيف أشنقه.

أقف أمام المرآة، أتأمل نفسي
امرأة أنا يسكنني الألم
و يصفعني الحنين وفجأة أقول بطريقة مسرحية
و ماله، مصحوبة بهزة أفقية أمامية من الكتف الأيسر،
أضحك على ميلودراميتي.

ثم...
رغما عني
يأخذني الحنين إلى شوارع
نقطعها في اليوم مرتين على الأقل
أختبئ في زحام المارة
فقط عيناي
تطلان مواربة من خلف الظلال
تبحثان عنك وتتحاشيان ملاقاة عينيك
تلك العينين اللتين تجردانني تماما
من كل أسلحة الدفاع عن نفسي
و في بحثي المستمر
كثيرا ما ألتقي زوج صديقة لي
به ملامح من حبيبي
عندما أراه أفرح كثيرا
و عندما أصافحه أسمع ضحكة في صوتي
و أرى إلتماع عيني منعكسا في عينيه
فأخاطبه وأوجه عيني إلى أماكن أخرى
أفتقدك يا علي
وأفتقد نفسي أكثر

ربما أيام أو أسابيع أو شهور مرت، لا أعرف. لا اتصالات ولا لقاءات.

ثم صدفة أخرى من صدف كونديرا.

الوقت ليلا. المكان وسط البلد. أنتظر تاكسيا يقلني الى البيت بعد يوم طويل بين كتب ومراجع مكتبة الجامعة الأمريكية. سيارته تقف أمامي. يفتح علي الشباك ويسألني ماذا أفعل في هذا الوقت في الشارع. " مستنية تاكسي." أرد وأنا لا أصدق أذني وعيني. " اركبي."

" وانت بتعمل ايه دلوقت؟"

" كان عندي شغل في الجامعة العربية."

رغم التعب البادي على وجهه، الا أن فرحته لرؤيتي لا تخطئها العين.

" اتعشيتي؟"

" آه."

" أنا ماكلتش حاجة من الصبح، وجعان جدا. تتعشي تاني معايا؟" أوافق.

أثناء العشاء أسأله بدلع كيف حال الانفصال معه.

" عايزة الحقيقة، ومتزعليش؟"

أومئ برأسي.

"محسيتش به"

" يا سلام!"

" كـــان عـــندي كمية شغل، واجتماعات، وضيوف عمل مش هتصـــدقي. بس أحيانا كنت أتصل بك من غير ما آخذ بالي، وقبل أن تتم المكالمة أتذكر اتفاقنا فأقفل الخط."

يصمت قليلا. ثم يسألني كيف كان حالي.

" في الأول كنت مبسوطة أوي، وبعدين وحشتني أوي."

ثـــم أحكي له عن زوج صديقتي الذي يشبهه. يضحك ويقول أنـــه يعرفه، ويضيف أن كل جماعة شمال أفريقيا تعرف بعضها خارج البلاد، ويتصارعون فيما بينهم بالداخل.

ننتهـــي من العشاء ومشاعر صافية تلفنا. أتساءل بيني وبين نفسي كيف ستنتهي الليلة، فيسألني علي إن كنت أرغب في شرب نبـــيذ خـــاص مـــن بلـــده. يخفق قلبي خشية القرب وخشية البعد، والاثنان لا طاقة لي بهما.

السيارة تتحرك إلى البيت.

يأتـــي علـــي بكأســـين ويفتح زجاجة النبيذ. يختبره الأول ثم يصب لي كأسا.

مع النبيذ أشف وأصير أكثر رقة، وبالمثل هو.

يأخذني في حضنه، ويهمس بعذوبة، " بحبك."

و يفيض عليّ بالحب والدفء والسكينة.

أنا أحب هذا الرجل.

يأتـــي مـــوعد سفره. يودعني هاتفيا. أقول له إني أريد أكون معه ليلة سفره.

" بلاش عين، سيكون الوداع صعبا."

لكني أصر.

يفاجأ بملكة فرعونية، كما وصفني.

أذهـــب إليه في فستان أبيض طويل مكشوف الصدر، وحلي من الفيروز، وشعري جدائل تصل لمنتصف ظهري.

يرى قصدي.

" نعم سأزف لك نفسي الليلة، لمرة أخيرة."

" هل ما زلت تحبينني؟"

" نعم."

" لماذا؟"

" سأحتاج لسنوات كي أشرح."

" ممكن تلخصي؟"

أبتسم.

أتذكـــر رابعـــة العدويـــة، فأخرج ورقة وقلما من حقيبة يدي وأكتب:

عرفت الهوى مذ عرفت هواك

و أغلقت قلبي عمّن عداك

أحبك حبين، حب الهوى
و حبا لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى
فشغلي بذكرك عمّن سواك
و أما الذي أنت أهل له
فكشفك لي الحجب

أعطـــيه الجــواب. يقرأ على مهل. ثم ينظر إليّ نظرة عميقة جدا تحمل معاني كثيرة. رأيت الحب والامتنان والدفء والشجن.

لـــم أستطع أن أقول شيئا آخر بعد ما رأيت. انتظرت إلى أن بادر هو بسؤال.

" وما هي الحجب؟"

تصدر عني تنهيدة، ثم أجيب.

" بك أكتمل يا علي. معك تتسق تناقضاتي وأكتمل."

نشـــرب حتـــى ساعات الصباح الأولى. ثم نذهب إلى فراشنا معـــا للمـــرة الأخيـــرة. يحتضنني على ويقبل عليّ. لكن جسدي يستغلق.

أعـــتذر لـــه. يغلـــق فمـــي بقبلة دافئة ويهمس في أذني،" ما تعتذريش."

يلف ساقه حول ساقي، ويشبك ذراعيه حول صدري.

بعد ساعات قليلة، ننهض.

يــذهب إلـــى الغرفة الأخرى يحضّر حقيبته، وأذهب أنا إلى المطبخ أعد القهوة التي تعلمت أخيرا كيف أصنعها.

حين نجهز يقبلني على جبيني. وننزل.

يقول لي، " اذهبي من هنا إلى بيتك."

لكني أصر على اصطحابه إلى المطار.

يحذرني مجددا، " سيكون صعبا يا عين."

نستقل تاكسيا. ونجلس صامتين إلى أن نصل إلى المطار.

أمـــام صـــالة المغـــادرة، يقبلني على خدي ويقول،" أشوفك بخير."

أمسك ذراعه ولا أريد أن أفلته.

" أستناك يا علي؟"

" ما تنتظريش يا عين."

أفلـــت نفسه من قبضة يدي. تابعته بعيني إلى أن اختفى وسط جموع المسافرين.

أتسمّر مكاني كعروس أتاها نبأ مصرع حبيبها ليلة عرسها.

2

لا أستطيع أن أمر على المشهد السابق دون تعليق، فالمفارقة تفــرض نفسها عليّ. المشهد على دراميته يذكرني ببعض المشاهد الســينمائية فــي الأفــلام العــربية خاصة تلك التي تنتمي لفترة السبعينيات والثمانينيات. حبيبان مرتبطان بقصة حب منذ سنوات، الحبــيب لا يستطيع الإيفاء بمتطلبات الزواج، فتنتهي العلاقة بأن تتــزوج الحبيــبة من ثري عربي أو من تاجر من الوزن الثقيل. وعــادة مــا تضــع الفــتاة دبلــة الخطوبة أمام خطيبها، إذا كانا مخطوبــين، على مائدة عليها كوبان من عصير الليمون وضعهما جرســون معتاد على مثل هذه المشاهد. تغادر الفتاة ويبقى الشاب الــذي تعــدى الثلاثــين من عمره دون أن " يكوّن نفسه". اللقطة التالــية، غالــبا ما سنرى الشاب في خمارة شعبية وأمامه زجاجة بــراندي أو روم، يحاول أن ينسى. وقد يتّجه إلى غرزة بحي من أحــياء القاهرة القديمة مثل الباطنية، أو بمدافن البساتين أو الإمام الشافعي مثلا، وينضم لجلسة تحشيش. أو قد يذهب إلى القهوة التي اعــتاد الجلوس بها منذ أن تخرّج من الجامعة في انتظار خطاب التعيــين من القوى العاملة. غالبا ما سينصحه أصدقاؤه بأن ينسى

الفــتاة فهـــي لا تســـتحقه. وربما يشرد الشاب بذهنه ويفكر كيف يصـــبح غنيا. تهريب أو مخدرات، ثم يتخيل نفسه وقد صار رجل أعمال، غنيا ومشهورا، وبطريقة ما تظهر فتاته السابقة فيفكر في العودة إليها لكن بعد أن يذلها الأول.

لكـــن مـــا الذي يدفع علي إلى الزواج حقا من امرأة لم يذكر مـــرة واحـــدة أمام عين أنه يحبها. ربما لا يستطيع قول مثل هذا الكلام إلى امرأة أخرى اعترف لها بحبه. بل إن ما فهمته عين هو أنـــه زواج تقليدي مقرر سلفا. وبشكل ما لا تستطيع عين تخيل أن يفرض على المرأة الزواج بشخص لا ترغب فيه في هذا العصر، إلا في الريف والصعيد ربما، فما بالك برجل وفي منتصف العمر!

يبدو لي المشهد معكوسا. ومن هذه الزاوية، مع كل احترامي للســـت عـــين، أرى المشهد كوميديا. لكن كيف ستتعامل عين مع النهاية التي كانت تعرفها مسبقا ؟

ستقول لنفسها
إختار اللاحب
و أنا كائن أتنفس بالحب وللحب
سيظل مكانك محفوظا بالقلب
لكن يجب أن أفسح مكانا لآخر
و ربما آخرين
هكذا تقرر.
و عندما يشتد الحنين
ستحمل كتابا ومرآة
و تقطع مسافات
و من حين لآخر
ستبحث في المرآة عن عينين راسختين
فترى عينين زائغتين
تبحثان عن عينين راسختين
و لا تجدان
فتحمل الكتاب والمرآة
و تقطع مسافات أبعد

إلى أن تصل سيوة. وهناك ستدع بدويا، تعرفه مذ كان صبيا لم يبلغ الحلم بعد، يأخذها إلى حمام كليوباترا وسط صحراء اكتمل قمرها. وستخلع ثيابها أمامه قطعة قطعة، وتنزل البئر. سينزع البدوي ثيابه دفعة واحدة ويلحق بها. ستهاب حجم عضوه في البداية. لكنها ستفترسه في النهاية بشراسة حيوان أصيب في مقتل. ثم تبكي.

يأخذها سليمان البدوي، الذي لا تزال تنظر إليه كصبي رغم مـــا رأت منه، إلى كثيّب رملي على أطراف الواحة حيث يجتمع رفاقـــه مـــع مجموعة رحالة أجانب. يشعل البدو النار ببراعة، ثم يحضّرون العشاء. تفرح عين لرؤية قشرة الأرض تنفتح عن جدي كـــان يُطـيّب علــى حطب تحت الأرض. ورغم توفر الملاعق والسكاكين إلا أن الكل، بما فيهم الأجانب، يأكل بالأيدي. يعلق أحد الأجانب أنه لم يأكل جديا مشويا بهذه الطريقة من قبل. " كُل كُل،" يرد واحد من البدو. بعد هذا العشاء الدسم، يسترخي الجميع تقريبا مـــا عدا رفاق سليمان. يبدؤون في تحمية الطبل والدفوف إلى أن يشـــتد الجلد. ثم يشرعون في الغناء بلغتهم أولا، وهي لغة شفهية من لغات الأمازيغ. ثم ينشدون مدائح تُحرك أبدان الجالسين. تمر زجاجـــة عرق بلح على الحاضرين. كل واحد يأخذ رشفة واحدة فقـــط، ثـــم يمرر الزجاجة إلى التالي. العرق قوي جدا، ومع كل رشفة تصير عين في دنيا أخرى. وعندما بلغ الإنشاد أشعار عمر ابـــن الفارض، قامت تذكر في وسط المتحلقين. فأُخذ المنشد يردد المقطع نفسه مرات ومرات،

تملّكت قلبي وعقلي ومسمعي
جسمي وأحشائي وكلي بأجمعي
في البعد لوعة وفي القرب رحمة

و في الوصل راحة إذا الحب منيتي

تنشـــج عـــين وهـــي تترنح بين أذرع الذاكرين إلى أن تسقط أرضـــا. عندما تفيق، تجد سليمان جوارها. وبعد أن تعتاد عيناها الليـــل تتبين وجود الآخرين بشكل متفرق إما في خيام منصوبة أو فـــي منامات محمولة. تتأمل السماء التي غرب منها القمر بنصف عين ثم تعود للنوم.

مـــع طلـــوع الشمس ينهض الجميع. يتناولون الفطور ويبدأ حـــديث عن رحلة إلى الصحراء الكبرى. عين كانت تعتقد أنها لن تحـــتاج للـــذهاب إلى أبعد من سيوة. وعندما استيقظت بقلب مثقل فكـــرت بـــأن تمد إقامتها بسيوة. لم تكن تتوقع أبدا رحلة في قلب الصحراء الكبرى. ربما في ذلك دواؤها. وافقت على الفور عندما عرض عليها أحد الأجانب الانضمام إليهم إن رغبت. تطلّعت إلى وجـــوه وأجســـاد المجموعة المتجهة إلى صحراء ليبيا، والتي لم تتعـــرف عليها جديا بعد. لا بأس بها، قالت لنفسها. " لا بأس بها على الإطلاق." وضحكت بينها وبين نفسها.

تتصــل بجــدتها وتخبرها بأمر رحلتها التي قد تمتد أسابيع. كذلك تتصل بالسيدة التي تعتني بجدتها أوقات غيابها، وتطلب منها أن تبــيت مــع جدتها إلى حين عودتها. تشتري أغراضا للرحلة وتنضــم للمجمــوعة. ثلاثة رجال وامرأة وزوجها أو رفيقها من ألمانــيا، وسويسرا والنمسا. ثلاث سيارات نقل مقفلة من مخلفات الحــرب العالمــية الثانية، ودراجة بخارية صحراوية تخص شابا ألمانيا. تركِّز عين على الدراجة وعلى صاحبها، مبدئيا.

تتحرك المجموعة صباحا حسب إرشادات ال جي بي اس

شمالا ثم غربا إلى واحة الجغبوب الليبية. السير بطيء والجو حار، إلا أن ركوب الدراجة خلف مايكل كان مثيرا للغاية، خاصة عــند مطالــع ومنازل الكثبان الرملية، حيث تصل الإثارة إلى حد الــرعب. يتوقف السير فترة الظهر لتناول الغداء ثم يستأنف مرة ثانــية دون توقف إلى أن تغيب الشمس. الكلام مع مايكل صعب أثــناء قيادة الدراجة بسبب الريح التي تملأ أذني عين. إلا أنها مع الــوقت تعــتاد الصمت وتركز مع صفير الرياح وتزداد التصاقا بمايكل، وتقول لنفسها، " ليل الصحراء طويل."

قــبل الغروب بقليل تتوقف السيارات على ربوة رملية قريبة مــن أشــجار شبيهة بأشجار السنط. ينزل الجميع، يتمدد السائقون علــى الرمل، والباقي يقطع بعض الفروع الجافة ويبدأ في إشعال

الـــنار. تساعد عين في نقل الحطب إلى أن يسألها مايكل إذا كانت تـــود استكشاف المكان بالدراجة. تتحمس عين دون أن تبدي ذلك، فترحب لكن تشير إلى ضرورة مساعدة الآخرين. فيرد مايكل بأن عـــددهم وفير. تركب خلفه وينطلقان إلى تل بعيد إلى حد ما، لكن لا يـــزال بإمكانهمـــا رؤية كشافات السيارات التي تركت مضاءة كعلامة. تتشتت أشعة الشمس البرتقالية بين سحب منخفضة فتشكل جـــزرا ووديانا وبحورا وجبالا. يحتضن مايكل عين من الخلف، ويداعب أذنها بلسانه، " غروب بديع، أليس كذلك؟" وقبل أن تفكر فـــي شـــيء تـــرد بـــه، يكون قد ضمها إلى صدره وبدأ في نزع ملابسها. يسندها إلى شجرة ويبدأ في لثم جسدها من أصابع قدميها وحتـــى أذنـــيها إلى أن تدوخ عين من اللذة وتوشك على الوقوع فيرفع مايكل فخذيها بين ذراعيه ساندا ظهرها إلى جذع الشجرة . يقـــتحمها، ويهزها، ويزلزلها إلى أن يأتيا معا، وصراخهما يرتجع في الفضاء.

يغفـــو الاثـــنان ثـــم يفـــيقان على برد الصحراء. الظلام حلّ بالمكـــان. عين تريد التفكير في إحساسها بعد استمتاعها بممارسة الجـــنس مع غريب آخر، تسأل نفسها بماذا تشعر. لكن لا الظلام ولا البـــرد ولا مايكـــل يســـمحون لها باختبار مشاعرها. يرتديان ملابســـهما ويـــركبان الدراجة. بطريقة ما يضلان الطريق. يلف مايكل عدة دورات في اتجاه ما يفترض أنه كشافات السيارات، إلا أنـــه لا يقتـــرب بل يشعر بأنه يبتعد. ثم اختفى الضوء وأُشعل في مكـــان آخـــر. يحـــتار الاثـــنان. الظلام صار كثيفا والجو أبرد.

يتشــاوران ثــم يقــرران الاتجاه نحو الضوء الجديد. حتى هذا، الوصــول إليه عسير. يرتفعان ويهبطان مع التلال، لكن وكأنهما يتحركان في حلقات.

يصلان حدود قرية مهجورة، بيوتها الطينية مهدمة، ولا يوجد بهــا مــا يدل على وجود أي شكل من أشكال الحياة. يتقدمان في نفــس الاتجاه إلى أن يصلا بالقرب من مصدر الضوء الذي رأياه من قبل. يتوقفان أمام بيت خرج كل أهله تقريبا لاستكشاف مصدر الصوت الغريب الذي يهدر في صمت تلك الصحراء.

" الســلام علــيكم" تحيي عين أهل الدار، يردون عليها بنفس التحــية. تتحدث عين إليهم بالعربية وتخبرهم أنهما ضلاّ الطريق، ولا يعرفان كيف يعودان إلى رفاقهم.

"اتفضلوا، اتفضلوا" يقول أحد رجال البيت لم يتبينا ملامحه أو يحددا عمره في الضوء الشحيح المنبعث من عمود إنارة متهالك.

يُضــيفهما نســاء البيت دون أن يتمكنا من رؤية وجوههن. الأطفــال يأتــون من كل ناحية، وفجأة تمتلئ ساحة الدار الداخلية بأهــل القــرية. يســأل أحــد الشيوخ من هم، فتجيب عين بأنهم مجمــوعة رحالة، وأن هذا، وتشير إلى مايكل، زوجها. يبدأ سيل مــن الأســئلة حول ماذا يعملان، وأين يسكنان، وإن كان لديهما أولاد. تضــطر لتألــيف حكايات وتترجم لمايكل حتى يعرف أين مــوقعه، وخشية أن يظهر شخصا يعرف الإنجليزية أو الألمانية، فيــتحدث معه مباشرة ويكشف كذبها. بعد فترة تبدي عين الشعور بالتعب والرغبة في النوم حتى توقف سيل الأسئلة. يتفهم أصحاب

البــيت وترشدهما امرأة إلى غرفة الضيوف. يتحسسان طريقهما إلـــى الفراش، يخلعان ملابسهما، ويبدأان المداعبة. يصلهما صوت موتور. سيارة تتوقف أمام ساحة الدار وأصوات تتحدث بالألمانية، فيســـرعان حـــركاتهما. وقبل أن يصلا إلى ذروتهما، ينفتح باب الغـــرفة، ويعلن شخص ما وصول رفاقهما. يند عن مايكل أنين. يرتديان ملابسهما في الظلام. ثم يخرجان إلى مصدر الجلبة، اثنان مـــن رفاقهما جاءا في إحدى السيارات يقتفيان أثر عجل الدراجة والضوء. يشكر مايكل وعين أهل الدار على

حسن ضيافتهم وكرمهم وينصرفان مع رفاقهما.

علـــى الطريق، يكتشفان أنهما لم يكونا بعيدين عن مخيمهما. ويخبـــرهما واحد من رفاقهما أنه قد أطلق رصاصا في الهواء كي يســـتدلا علـــى مكان المخيم. يتذكر مايكل أنه سمع صوت طلقات لكن الريح كانت تلف بصوت الطلقة فلم يستطع تبين من أي اتجاه تـــنطلق. بعد دقائق يصلان إلى بقية المجموعة ويحكي مايكل ما حـــدث وهمـــا يتـــناولان ما تبقى من العشاء البارد. البعض ينام بالسيارات والبعض يفرش منامات خفيفة. مايكل وعين يتشاركان في منامة مزدوجة، ويستأنفان ما انقطع بينهما.

مــع الــوقت الــذي يمر ببطء شديد، وحديث مايكل الذي لا يــنقطع عــن دراجــته العبقــرية وحرفيته في القيادة، ومحاصيل مــزرعته التــي تتضاعف بفضل استخدامه لأحدث التقنيات، يبدأ الملــل يتسرب إلى نفس عين. ورغما عنها تجد نفسها تقارن بينه وبــين علــي. لكــن أين علي الآن؟ تحاول تخيله مع تلك المرأة الأخرى، وتسأل نفسها هل يفرد لها ذراعه اليمني كي توّسد رأسها عليها، هل يشبك ذراعيه حول صدرها مثلما كان يفعل معها، هل يتنفس هواء الأخرى مثلما كان يتنفس هواءها؟ تشعر بغيرة ما.

تسأل مايكل إن كان قد أحب من قبل. يبدي اندهاش من يسمع بمصــطلح جديــد ويقول انه لا يحتاج لأكثر من زجاجة نبيذ كي يغزو أي امرأة. تشعر بالقرف وتصمت.

بعد استراحة الغداء، تدّعي عين أنها تشعر بالتعب من ركوب الدراجة. تترك مايكل يستعرض مهاراته الفنية وتنضم إلى جورج النمساوي في مركبته.

يبدأ جورج الكلام بسؤال عين إن كان سبق لها زيارة النمسا، فتنفــي. يخبــرها أنــه أقــام بالقاهرة ثلاث سنوات في منتصف الســبعينيات، ويغمــز بعينه، " أكيد كنت طفلة حينها، أو ربما لم تــولدي بعد." تبادله عين المجاملة بمجاملة، " أكيد جئت في رحلة مدرســية لزيارة الأهرامات." يضحك عاليا، ويقول أنه كان يعمل

فـــي شركة أجنبية بمصر الجديدة. ثم أضاف أنه لطالما رغب في التعـــرف على فتاة مصرية، لكن وجود زوجته معه في تلك الفترة منعه من ذلك. تبتسم عين وترمي له نظرة " ها قد جاءتك الفرصة مـــن حـــيث لا تدري." يلتقط جورج الطعم بكامل وعيه وبإرادته الحـــرة ويـــزيد، " وها هو بحر الرمال العظيم ينشق عن حورية فـــرعونية." ثم يقول لها أنه رغب في التودد إليها منذ أن رآها في عشـــاء الـــبدو فـــي ســـيوة، لكـــنه تردد. " بعد ذلك أنت اخترت الدراجـــة.." تُعلـــق أنـــه لم يسبق لها ركوب دراجة صحراوية، وتضـــيف مازحـــة، " كما أن لم يسبق لي ركوب سيارة من أيام الحرب العالمية الثانية." ثم تسأله كيف حصل عليها، فيخبرها عن مـــزاد أقـــيم مـــنذ سنوات لبيع تلك المخلفات، وأنه اشتراها بسعر رخـــيص جدا، وكانت في حالة جيدة بشكل عام، وأنه قام باستبدال وتصليح بعض أجزائها فهو بالمناسبة ميكانيكي.

تغـــرز إحـــدى السيارات، فتتوقف القافلة عن السير. يخرج جـــورج مـــن ســـيارته لوحين معدنيين بهما ثقوب واسعة ويذهب لـــنجدة السيارة المغروزة. تشاهد عين العملية من نافذتها، وتعجب بمهـــارة جـــورج وبســـاعديه القويين، وتتخيل هذا الرجل مفتول العضـــلات فـــي الفراش. تتطلع إلى السماء. لم يتبق الكثير على غروب الشمس.

تستأنف القافلة السير. ينظر جورج إلى إحدى الخرائط ويخبر عـــين أن المســـافة إلى واحة الجغبوب ليست بعيدة لكنهم غالبا لن يتمكـــنوا مـــن الوصـــول إليها الليلة. وقبل أن تهبط الشمس تماما

يــتوقف الركب بالقرب من بضع أشجار جافة ويصفون السيارات على هيئة نصف مستطيل اتقاء للريح والرمال.

يكسر الرجال الأغصان الجافة ويبدأ أحدهم في إشعال النار، بيــنما تتبادل عين والسيدة الأخرى الحديث. اليزابث ممرضة في سويســرا وتهوى الترحال. التقت بزوجها في الهند حين كان يتعلم فــنون اليوجا، ولكن ليس لديهما أطفال. عين تعلق بأن المجموعة مــتكاملة إذ بها ميكانيكي وممرضة ومزارع. تضيف اليزابث أن هناك جون ضابط ألماني متقاعد يهوى الصيد البري. تستثني عين فــي خيالها جون وبالطبع فريدريك المتأمل زوج اليزابث. مايكل، انتهت منه. إذن لم يتبق سوى جورج. تتمنى ألا يخيب ظنها، فهي تعلــم أن المظاهــر خداعــة، وكم من مرة صادفت رجلا مفتول العضلات، طول بعرض، ووقت الجد لا يصمد أمامها.

تقــريبا لم يتبق شيئا من الخضروات الطازجة، فيخرج جون من خزانة سيارته معلبات مكتوب عليها "مخصصة لحلف الناتو". يفــرغ المعلبات ويضع المحتويات على المائدة المخصصة للأكل. حفريات تشبه السردين والبسكويت والفواكه المجففة. يبدأ جون في القرقشة التي يتضخم وقعها في الصمت الذي يلف المكان، ويتبادل الآخــرون النظرات ثم ينفجرون في الضحك، وهم يحمدون الرب أن الــواحة علــى بعد أميال وأنهم يستطيعون تحمل الجوع حتى مــوعد الغــداء في اليوم التالي. جون لا يعبأ لضحكاتهم ويواصل القرقشة.

يشتد الليل ومعه البرد، فيبدأ الجميع في إعداد مناماتهم. يسأل جورج عين أين ستنام، فتسأله إن كان بامكانها المبيت في سيارته لأن الجو برد. " بالطبع، وأستطيع أن أدفئك أيضا." يرد بحماس.

لا يخيب ظنها. بل يكاد جورج يتقمص دور الصياد في شخصية جون وأخذ يفترسها دون هوادة. تغتبط عين وتتركه يأكلها كيفما يريد. لكن حين ينتهيان لا تدعه يضمها إلى صدره. فقط تشكره. يحاول الكلام معها لكنها تدّعي أن النوم يغلبها. ثم تدير ظهرها.

ما الذي تفعله؟ تسأل نفسها.

لا ترد، إنما تسيل دموعها في هدوء.

فـــي الصـــباح، لا يـــوجد فطـــور سوى حفريات الناتو التي يقرقشـــها جـــون. الباقي يقرر الصبر إلى حين وصوله الجغبوب. وفي الطريق يواجهون سلسلة تلال رملية متكلسة. تغير السيارات مـــن اتجاههـــا وتلتف حول التلال. أما مايكل، فيقرر استعراض مهاراته في القفز أو ربما الأدق الطيران بدراجته، فيسقط من على ارتفـــاع عشـــرين أو ثلاثين مترا ويصاب بقطوع حادة في فخذه وربمـــا كســـور فـــي ســـاقه. يسرع الجميع إليه، وتأتي اليزابث بصـــندوق الإســـعافات الأولية. تضمد جروحا وتعد جبيرة، لكن هـــناك قطـــوع غائـــرة تستلزم جراحة. يضع جورج ما تبقى من الدراجـــة فـــي بطن سيارته، وينقل فريدريك واليزابث مايكل إلى داخـــل سيارتهما، حيث أعدا له فراشا بروابط حتى لا يتحرك مع اهتزاز السيارة.

فـــي مـــدخل البلدة تسأل عين أول شخص يقابلهم عن أقرب مستشـــفى. يـــرد الرجل بأنه لا توجد سوى مستشفى واحد بالبلدة ويرشـــدهم إلـــيها. في المستشفى، يقوم طبيب بالكشف يدويا على مايكل، ويفيد بأن من الأفضل نقله إلى مستشفى بنغازي العام فهي أكثـــر استعدادا. مايكل يشعر بالقلق ويقرر أنه من الأفضل العودة إلـــى ألمانـــيا وعمـــل الجراحة اللازمة هناك. يتشاور مايكل مع المجمـــوعة حول كيفية العودة وإجراءاتها، بينما تجلس عين على

مقربة منهم دون أن تتدخل في الحديث الذي يدور الآن بالألمانية. رغم قلقها على مايكل، إذ بعد عدة أيام في الصحراء صارت المجموعة كأسرة واحدة، إلا أنها حمدت الله أن هداها لترك مايكل في اللحظة المناسبة، وإلا كان زمانها ممددة على سرير معدني آخر جواره.

القرار النهائي هو أن ينقل جورج مايكل في سيارته ويتبعهما جون في سيارة أخرى إلى طبرق، حيث أقرب مطار داخلي، ومن هناك يرتبون سفر مايكل إلى بنغازي ومنها إلى ألمانيا أو ايطاليا إن تعذر السفر إلى ألمانيا مباشرة. وعين واليزابث وفريدريك ينتظرون بالواحة إلى حين عودة جورج وجون بعد يومين أو ثلاثة على أكثر تقدير.

بعد مغادرة الثلاثة المتوجهين إلى طبرق، تسأل عين عن أقرب مطعم ويتوجهون إليه. مطعم شعبي صغير لا توجد به قائمة طعام، فيطلبون الموجود. خضار وأرز ولحم إبل. يأكلون بنهم ثم يشربون شايا أخضر بالنعناع. تسأل عين الشخص الذي أحضر الطعام عن الأماكن التي يمكن زيارتها. يخبرها عن بعض المقابر القديمة وبحيرة الملفا، وفي السياق يخبرهم عن بطولات السنوسي الذي وُلد بالجغبوب. ثم يسألهم عن جنسياتهم، فتخبره عين دون حرج إذ ليس بينهم طليان.

يقوم الثلاثة بجولة على الأقدام في البلدة القديمة التي تشبه كثيرا البلدات القديمة بواحات مصر، تقريبا نفس البيوت الطينية ذات الأسقف المصنوعة من جذوع النخيل. يردون على تحية

الأطفال الذين يبتسمون ويلوحون لهم. يشترون فاكهة طازجة لليوم، ويؤجلون شراء باقي الأغراض لحين عودة رفاقهم. سيستغلون وجودهم في البلدة ويأكلون في المطعم. يتوجهون إلى المقابر القديمة التي تبعد عن البلدة عدة كيلومترات. مقابر تشبه إلى حد كبير بعض المقابر البطلمية التي زارتها عين في منطقة كوم الشقافة بالإسكندرية. لا يقضون وقتا طويلا بالمقابر، ثم يتفقون على الذهاب إلى تلك البحيرة الصحراوية التي ذكرها الشاب الذي قدم لهم الطعام. البحيرة تحوطها أشجار النخيل، ومنعزلة إلى حد ما. هناك شباب يستحمون وصبية يلعبون على شاطئها الرملي. يبتعد فريدريك عن ذلك الجزء المأهول نسبيا، ويذهب إلى ناحية أخرى هادئة تماما إلا من أصوات بعض الطيور البرية.

ماء وسط الصحراء تخطه انعكاسات أشعة الشمس الحارة التي تشق ممراتها من خلال جريد النخيل. جمال المنظر يبعث البهجة إلى نفس كل من اليزابث وزوجها فيتسابقان عدوا إلى البحيرة ويرشان بعضهما بالماء، ثم يلتحمان في قبلات ويبتعدان.

عين تتأمل المنظر البديع وتشعر بثقل في قلبها. تنظر خلسة إلى العاشقين اللذين يتبادلان الحب في الماء وتشعر بالغيرة رغما عنها. لا تحسدهما. لكنها تشعر بوحدة شديدة وفراغ هائل وحزن يعمقه ممارسة الجنس من دون مشاعر. ربما عليها أن تتوقف عن ذلك. لكن أليس شيء أفضل من لاشيء على الإطلاق. تسأل نفسها هل تساوي لذة دقائق الخواء الروحي الذي يلي تلك اللذة.

الفكــرة تستوقفها، وتتساءل هل كل الناس يشعرون بما تشعر به؟ هــل كل الناس يشعرون بهذا الذي تطلق عليه "خواء روحي " بعد الوصــول إلى ذروة اللذة من دون حب. أكيد لا. ترد على نفسها وهــي تــتعجب من حماقة السؤال. عين أنت نكدية مثلما وصفك علي ذات مرة.

و علــى ذكر النكد، لا توفر عين سببا له إلا وتفكر به. فهي مــثلا لا تتذكر الأوقات الحلوة التي قضتها مع علي، إنما تستدعي أشد الأوقات تعاسة. لا تذكره، مثلا، وهو يبوح بحبه لها همسا، أو تتخــيله معهــا الآن يســبحان معا بالبحيرة. لا. لكن تتذكر جيدا تفاصــيل شــجارها معــه وانســحابه الهادئ إلى الغرفة الأخرى وشــعورها بالألم والاستياء، فتشعر بالغضب وتلقي بعنف حجارة صــغيرة إلــى البحيرة وهي تلعن ذلك الرجل الذي تعلم جيدا في قرارة نفسها أنه لم يبخل عليها أبدا بمشاعره. لكنه أبقى على خط رجعة. عشان مش أهبل زيك.

لا فائدة من هذا التفكير المرضي الآن. تعود عين إلى الواقع وتقــرر فعل شيء ايجابي. أن تستحم مثلا وتغسل ملابسها، فالماء متوفــر أمامها. ولتواصل هذيانها الداخلي بالمساء حين تخلد إلى النوم بمفردها.

أثـــناء تناولهم الغداء ظهر اليوم التالي، يصل جورج وجون. يخبرهم جورج أن حظ مايكل كان طيبا للغاية. فعندما وصلوا إلى مطـــار طبرق بالأمس كانت هناك طائرة على وشك الإقلاع إلى بـــنغازي. ومـــراعاة لحالـــته الصحية، سمحت له سلطات المطار بالصعود إلى الطائرة ووفروا له نقالة. وأضاف جون أن المسؤلين بالمطـــار كانوا متعاونين جدا وسهلوا لمايكل باقي إجراءات السفر إلى ألمانيا مباشرة.

يســـأل جـــورج عـــين كيف كان وقتهم. فتخبره عن المقابر والبحيـــرة. يقـــررون أن يبقوا اليوم بالواحة ويستمتعون بالسباحة والتزلج على الرمال وأكل لحم الإبل.

تبـــتهج عـــين لعودة جورج فهو مرح. وبالفعل يقضيان وقتا ممـــتعا. لكـــن عندما بدأ مداعبتها بالمساء نفرت. يسألها لماذا فلا تـــرد. يُلح فتجيب بأنها تفضل الاحتفاظ بمشاكلها لنفسها. يصمت جـــورج، وتُفاجأ عين بجوابها. هذه جملة علي. كان يقولها عندما تلـــح عـــين في سؤاله عمّا يؤرقه. هل صارت تتحدث مثله؟ وما معنـــى هـــذا الجواب. هي تعرف أنها لا تريد إشراك جورج في حياتها الشخصية وتريد أن تضع مسافة كي لا تتعمق الأمور. هل يفكر علي بنفس الطريقة؟ كان نادرا أن يتحدث عن مشاكله إلا إذا كـــان الأمـــر يخصـــهما. وعـــندما كانت تسأله عن بعض أموره

الشخصـــية ، كان يرد أن ذلك يخصه. وكانت تستاء جدا من هذا الرد. لكن ها هي الآن ترد بكلام شبيه. لكن هناك فرق. أنا وعلي مــرتبطان، ثــم تصــحح لنفسها، كنا مرتبطين. هي لم تخف عنه شــيئا، وهــو أخفى عنها أمر ارتباطه بامرأة أخرى. تتذكر عين الموضــوع مــن جديد وتشعر بالغضب ثانية فتستدير إلى جورج وتبدأ في مداعبته. يتثاءب ويقول انه يرغب في النوم. تشتمه عين بالعربية وتلكمه حتى يستثار ويلقيها على ظهرها وهي تضحك ... الباقي مفهوم. ولا يتركها إلا بعد أن تتوسل إليه أن كفى.

مــع ضوء الصباح تكتشف عين آثار الليلة السابقة، عضات حب في كل مكان. تشعر بالخجل وتضطر لارتداء قميص بأكمام طويلة رغم سخونة الجو.

بعد الإفطار، يتوجهون إلى سوق البلدة ويشترون خضروات وفاكهــة ولحم إبل وتوابل وشايا أخضر ونعناعا جبليا. ويتوجهون غــربا إلى واحة جالو. مع انتصاف النهار، يتوقفون لتناول غداء خفــيف ثم يستأنفون السير. مع اهتزاز السيارة تسمع عين صوت دراجــة مايكــل وهي ترتج ببطن السيارة. تبتسم وهي تتذكر حبه للاســتعراض. ثم تسأل جورج ماذا سيفعل بالدراجة. سيتفحصها لاحقا ليرى إن كان يمكن إصلاحها واستخدامها مجددا.

تأخــذ عــين إحــدى الخرائط وتطبقها لتستخدمها كمروحة. يســألها جــورج لمــاذا تــرتدي هذا القميص في هذا الجو. تريه علاماته. يُصفر بفمه كعلامة تعجب. ثم يريها علاماتها. فتصيح،"

أنا اللي عملت كده!!" فيضحك قائلا، " لا. فعلت ذلك ذئبة متوحشة مــن ذئــاب الصحراء." فتخجل عين خجلا مضاعفا، من علاماته وعلاماتهــا. لكنها تقول،" كانت ليلة حلوة." يوقف السيارة، وينظر إلــيها طــويلا. فتسأله ما الخبر. " أنتَ غريبة جدا." تشعر بخطر الكــلام فتصمت. يدير موتور السيارة ويستأنف السير. تنتبه عين لمــا تفعلــه، وتفســر فــي ضوئه صمت علي. الشعور بالخطر. التورط.

تقــرر عــين تعلــم الزهد على الطريقة الهندية، فتنضم إلى اليزابث وفريدريك في الصباح وتحاول أداء تمرينات اليوجا. رغم الألم الذي يصيب ركبتيها إلا أنها تفرض على نفسها التركيز على بقعــة رمــل أمامهــا أو على الإيقاع الموسيقي للريح كما يعلمها فريدريك. رغم صعوبة التركيز خاصة مع صوت الريح إذ لا تجد بــه أي إيقاع، إلا أنها تشعر أن التدريب اليومي، خاصة في تلك الســاعة من الصباح، يفيدها بشكل ما. رغم ألم الركبة والذراعين تشعر براحة ما. بصفاء. بالزهد في الرجال.

صــارت تبــيت بمفردها في منامتها في الهواء الطلق. تتأمل النجوم وتنتظر ما سيسقط منها كي تتمنى أمنية واحدة. لكن النجوم أسرع منها. ومع ذلك تقول أمنيتها حتى بعد أن تسقط النجوم. ألاّ تفترق عن علي.

رغم جمال الصحراء وتماوج كثبانها الرملية والمنحوتات الصخرية البديعة، إلا أن أجمل لحظة هي لحظة رؤية واحة عن بعد. النخيل والعيون المائية. يكاد الكل يشهق في تلك اللحظة. والصمت الذي تفرضه هيبة الصحراء ينقطع. يبدأ الكلام، والضحك، واللعب. تفرض الواحة إيقاعا آخر. الأكل والثرثرة في المطعم مع أصحابه المحليين، والسباحة في أحد العيون المائية المنعزلة، والتزلج على الرمال المتاخمة للواحة.

في جالو، تنضم إلى قافلة عين مجموعة قادمة من الطرف الآخر للصحراء. خمسة أمريكان قدموا من المغرب، فالجزائر، ليبيا. ومن ليبيا يريدون الذهاب إلى تشاد ثم السودان ليصلوا في النهاية إلى منابع النيل.

هؤلاء الأمريكان يفضلون أن يكون معهم أدلاء من أهل الصحراء يرافقونهم من منطقة إلى أخرى، وقد يستمرون معهم أو يسلمونهم إلى أدلاء آخرين. تتفق المجموعة الأمريكية مع ثلاثة أدلاء لمرافقتهم حتى جبال تبستي. ينضم البدو إلى المجموعة لكن في سيارتهم الجيب الخاصة، ويأتون بجدي سيكون مصدر تسلية للجميع حتى لحظة شوائه.

تتحرك المركبات كلها كقافلة واحدة تتقدمها سيارة البدو. وباستثناء الصخب الذي يحدثه الأمريكان وأدلاؤهم أثناء

الاستراحات الجماعية، ومأمأة الجدي الذي وقع في غرام واحد من الأمريكان، تفرض الصحراء هيبتها على الكل.

بعد العشاء، يبدأ البدو الضرب على الدفوف ثم يرتجل أبو بكر، وهو أصغر الثلاثة، أغاني حسب المواقف. الموقف الأكثر سخونة هو عشق الجدي لروبرت الأمريكي. وروبرت يكره الحيوانات بصفة عامة، ولا يطيق رائحة هذا الجدي بالذات. وكلما ابتعد عنه ازداد التصاق الجدي به. ورغم أن الجدي يبيت في سيارة البدو، إلا أنه يناجي روبرت طوال الليل. وعندما فاض الكيل بروبرت طلب من البدو ذبحه مباشرة. لكن البدو أجابوا أن ذبحه سيكون ليلة اكتمال القمر. كما اعترض الباقي على همجية روبرت ومازحه أحدهم، " يا رجل الجدي يهواك وأنت تريد قتله. عار عليك. يجب أن تبادله حبا بحب". يضحك الجميع ويغضب روبرت.

في الصباح تواصل عين تدريباتها على اليوجا مع اليزابث وفريدريك، وتنضم إليهم الفتاة الثالثة في المجموعة. أمريكية اسمها جينا، تعمل بالصحافة وتريد أن تؤلف كتابا عن الصحراء.

في ذلك الصباح فاجأ السؤال عين. ماذا تفعل بالصحراء؟ وإلى متى؟ كل من معها له هدف من الرحلة. الوصول إلى مكان ما، التسلية، الاستجمام، الكتابة. أما هي، فماذا تريد؟ لا تعرف. لكنها على يقين أن الصحراء سترشدها إلى الطريق. لكن، الطريق إلى ماذا؟

لــيلة اكتمال القمر كانت عيدا. توقفت السيارات عصرا، وبدأ الــبدو فــي إشعال النار. ومع اشتعال الحطب تعلو مناجاة الجدي لروبــرت في صيغة استغاثة. يزداد حنق روبرت فيسير بعيدا عن صــراخ الجدي، ولا يعود إلا بعد أن ينتهي أمره. ورغم أنه كان أول مــن يــريد التهام هذا الجدي، إلا أنه لم يلمسه وقت العشاء. مازحه أحد رفاقه، " ماذا، هل تفتقد مأمأة حبيبك." يضحك الجميع إلا روبرت الذي بدا حزينا حقا. صار الموقف مدعاة لارتجال أبو بكر أغنية أخرى عن الجدي. هذه المرة عن حب روبرت المتأخر للجــدي، وأسفه وندمه على الوقت الذي ضاع في الهجر بدلا من مــبادلة الحب. يستمر الضحك والصخب فترة ثم تهدأ الجلبة. يأتي عمّــار، وهو الدليل الرئيسي للرحلة وأكبرهم سنا، بزجاجة عرق بلح ويمررها على الجميع الذين يبتهجون بها قدر ابتهاجهم بالجدي المشــوي. ثــم يطلب أن يحكي كل شخص قصة طريفة. يبدأ أبو بكــر بقصــة الجدي وروبرت، فينفجر الضحك مجددا. ثم تحكي عين عن سلحفاة جدتها التي هربت منها، ووجدها ابن الجيران بعد أســبوعين فــي حــي مجاور مع صبية يُحَكمون صبيا أبكم على ســعرها. تحكــي اليزابث عن البقرة المقدسة في الهند وكيف كان الهــنود يوقفون المرور بخشوع من أجل أن تمر البقرة الكريمة. يحكي جورج عن حب مايكل للاستعراض أمام الفتيات الى درجة

الطيران بدراجته من على مرتفعات ليسقط مكسور القلب والساق، ويبـــرهن على كلامه بحطام الدراجة التي لا يزال محتفظا بها في بطـــن ســـيارته. يذكر فريدريك حفريات الناتو التي كان يقرقشها جـــون ويســـأله إن كـــان قـــد تبقـــى منها شيء ليقدمها لجمهور المســـتمعين. " لا لا شـــكرا." تـــرد الفـــتاة الأمـــريكية نيابة عن مجموعـــتها وتضيف ضاحكة، " نعرفها جيدا، عشنا عليها فترة." تستمر الحكايات الطريفة إلى الدورة السابعة لزجاجة العرق.

ثم يبدأ البوح بقصص العشق والهجر.

يُقلب عمار الحطب ويضيف قطعا أخرى حتى لا تخمد النار. وحـــين يحـــل الصمت على المكان يمسك بنايه ويترجم القصص لموسيقى شجية تميل معها الرؤوس. ثم يتكلم...

ألـــم يقـــل حكماء القبيلة: إن العاطفة المقدسة تصير دنسا إذا انـــتهت إلـــى قران؟ ألم يقولوا أيضا: إن العلاقة المحمومة تنقلب كـــراهية إذا انتهت إلى التحام؟ أم أن السر كامن في طبيعة الحب الـــذي يتـــبدد ويزول إذا لم يستطع أن يبدد موضوع الحب، إذا لم يبدد المحب والمحبوب معا؟ فهل من طبيعته أن يزول إذا لم يزل الإنسان بسببه؟ نعم. انه يفضل أن يموت بسبب الإنسان إذا لم يجد الإنســـان في نفسه الشجاعة كي يموت بسببه. إذا لم نضح بأنفسنا، ضحى هو بنفسه لأجلنا. كأنه يصر أن يتخلى عنا عندما يدرك أننا أعجز من أن نتخلى عنه. أعجز من أن نهب أنفسنا قربانا له لأن أنانيتـــنا، لأن حبنا للحياة، أو ما نظن أنه حياة، يجعلنا جبناء أمام

التضـــحية، أمام التخلي، أمام الموت، فيستيقظ فينا الحرص الأول، ونتخيل أننا نستطيع أن نستولي على الحب، على مادة الحب، على المخلوق المرئي وظله الخفي، على الحسناء وعلى عصفور النور الخفـــي الـــذي وهبنا الحسناء، وننسى أن للحب وجها آخر، للحب وجهـــين إذا حضـــر أحـــدهما غـــاب الآخر، وجها الحب قرينان متضادان يحدق أولهما في الوجود، ويصلي ثانيهما للخلود. ونحن نتنكـــر لهمـــا، نتنكر للعاطفة المقدسة، عندما ننسى الناموس الذي يقول: إن على من أراد الخلود أن يتخلى عن الوجود، عندما ننسى أن الحـــب لابـــد أن يتخلى عنا إذا لم نتخل عنه، عندما ننسى أن الحب لا يصير حبا، لا يسمّى حبا، إذا لم يكتمل فيه شرط التخلي عـــن مـــادة الحب، عن موضوع الحب، عن المحبوب. ونحن لا نســـتطيع أن نتفوق على أنفسنا، ونقهر تعلقنا بوهم نعتقد أنه حياة، مـــا لم نتذكر أن العشق كالإله، سلطان مكابر لا يقبل أن يشاركه في الوجود كائن آخر.(*)

ينهـــي عمار حكمة القبيلة بعزف آخر على الناي. يصل أنينه إلـــى الســـماء، إلـــى القمر الذي يطل عليهم من فوق ويرتد إلى مسامعهم فتهتز قلوبهم، ويرتجع وجيب خفي في رمال الصحراء.

تتأمل عين كلمات البدوي التي لامست قلبها، وجعلتها تنفصل عـــن المجموعة وتذهب إلى شجرة قريبة لتبكي في الخفاء. الحب

(*) إبراهيم الكوني، فتنة الزؤان.

شـــرطه التخلـــي، وهي قد تخلت. ألم تقل لعلي أنها تفضل الحب علـــى العلاقـــة؟ ألـــم تقل له أنها تخشى على الحب من علاقتهما المشـــوهة؟ هـــو أيضا تخلى. لكنه لم يتخل من المنطق نفسه. هو يـــريد زواجـــا تقليديا. لأنه لا يقوى على الحب. لكنه تخلى عنك، عـــن موضـــوع الحب. إذن هو يحبك. أعلم. إذن ما المشكلة؟ لا أعرف. لم تبكين؟ لا أعرف.

تـــنام عين في مكانها. وتحلم بامرأة مربوطة بحبل في غصن شجرة. يشتد الحبل على رقبة المرأة، لكنها تقاومه. ومع كل شدّة، تتشـــقلب المـــرأة، وتتأرجح للأمام وللخلف. ملامح وجهها تتقلص وتنبســـط مـــع الحركة المتأرجحة. تشاهد عين الحلم بعين مفتوحة إلـــى أن يســـكن جســـد المرأة. مع الثقل، ينكسر الغصن ويتحرر الجســـد... يطلق الجمع المحتشد صرخة. هناك امرأة أخرى... لا تعرف عين هل تغلق عينيها أم تفتحهما. كل ما تعرفه أنها لا تريد متابعة هذا الحلم البشع. تأمر الحلم بأن يتوقف. وتخرج منه وهي ترتجف.

تفـــتح عينيها بحذر. تجد نفسها تحت ذات الشجرة التي رأتها فـــي الحلم، وبجانبها الغصن المكسور. تصرخ عين. وتضع كفيها علـــى عينيها. ثم تجري بعيدا وهي تبكي إلى أن تتعب من الجري فتتوقف لاهثة. تستلقي على الرمال. ثم تقوم بتدريبات التنفس التي تعلمـــتها مـــع فـــريدريك وهي تتابع شروق الشمس إلى أن ينتظم تنفسها وتهدأ نفسها.

تعـــود إلـــى المجمـــوعة التـــي استيقظت يعاني معظمها من الشعور بالتعب والصداع الناتج عن شرب العرق.

بعـــد تناول الغداء في أحد المطاعم الصغيرة بالكفرة، يتوجه الجمـــيع إلـــى مكتب اتصالات. المكتب صغير لا يوجد به سوى كابينتي هاتف والاتصالات الدولية تمر بصعوبة. لكنهم يقفون في الطابـــور. وحين يجيء دور عين تطلب مكالمتين للقاهرة. تطمئن علـــى جدتها وتوصي السيدة التي تراعيها مجددا. ثم تطلب مكالمة ثالـــثة وتتردد. الواقفون في الطابور يحثونها على الإسراع. تلغي المكالمـــة الثالثة وتخرج من الصف. ثم تعود ثانية. وعندما يحين دورهـــا تعطي الموظف الرقم. تتعالى ضربات قلبها وهي تنتظر إتمام الاتصال إلى أن تسمع الجرس.

" ألو...ألو.."

تحـــاول عـــين أن تـــرد. لا يخرج منها أي صوت. يتدخل الموظف في الخط ويقول لها، " رُدي يا ست." تسمع صوته ثانية، " ألـــو ... ألو.." ثم صوت إغلاق الخط. يسألها الموظف لماذا لم ترد. " معلش والنبي، أطلب الرقم مرة أخرى." يتذمّر الواقفون.

" ألو.."

" ازيك يا علي؟"

" أهلاااااا. انت فين؟"

لا تـــريد إخباره أين هي، وتسأله إن كان مبسوطا فيرد بنعم. تعيد السؤال، فتسمع ضحكته،" إيه مش مفروض أكون مبسوط.."

تجن من الغضب، وتنفجر فيه، " انت اتغيّرت". ينفي. ويسألها أين هي. تضع السماعة وتخرج من الكابينة وهي تسبه وتلعنه. يستوقفها الموظف، " الحساب يا ست". تدفع وتغادر دون أن تنظر إلى أي جهة.

يلحق بها أبو بكر. تأمره أن يتركها لحالها وهي تبكي. لكنه لا يفعل. ويخبرها أن لا يصح أن تتحرك بمفردها في مكان غريب. ثم يسألها ما المشكلة. لا ترد. فيمازحها وقد استشف أن الموضوع يتعلق برجل، " إذا زوجك أخذ امرأة أخرى، ولا يهمك، أنا أتزوجك." لا تجيبه. فيضيف، " وسأعطيك مئة ناقة مهرا." تبتسم عين. " هيا هيا... سنذهب إلى بحيرة قريبة قبل أن نودع الكفرة."

يعودان، إلى القافلة التي تتحرك نحو بحيرة على أطراف الواحة. تعطيها جينا رواية ساحر الصحراء. " قرأتها، ولا أصدق ما بها. كذب وخيال مريض." وترد إليها الكتاب.

تسبح بمفردها. يملؤها الغضب. الكره. الحزن. ولا تعرف ماذا تفعل. لا تريد العودة إلى القاهرة وفي نفس الوقت لا تعرف جدوى هذه الرحلة. تشعر برغبة قوية في التلاشي. تسبح إلى نهاية البحيرة بطاقة دفع سلبية. ثم تُفاجأ لدى عودتها من الضفة الأخرى بشيء غريب.

تتلفت حول نفسها. تفتش بداخلها. لا تجده. تُشَرح قلبها. لا شيء. تفزع. أين ذهب الغضب والكره والحزن؟ أين ذهب الحب؟

قلـــبها فارغ من المشاعر. لا حب. لا كره. كيف؟ هل كان وهما؟ ألـــم أحب هذا الرجل؟ تسأل نفسها. الإجابة غير موجودة لا بالنفي ولا بالإيجـــاب. كيف؟ ثم تذكرت شيئا. تذكّرت أنها قالت له يوما أنهـــا تستطيع إلغاءه من تاريخها، وتجعله كأن لم يكن. إذن هناك شخص اسمه علي. تتذكر لكن التذكّر لا يستدعي أية مشاعر. تهز رأسها تعجبا.

تعـــود إلى المجموعة بروح تائهة، وتسأل أين هي. يذكّرونها بأنهـــا فـــي الكفرة وأنهم يستعدون للتوجه جنوبا إلى جبال تبستي. تتذكـــر عـــين. وسينفصـــل الأمريكان ويمضون جنوبا إلى تشاد. ويستمرون هم غربا إلى الغات.

في مدخل واحة صغيرة على مشارف تبستي، تُقابل القافلة بطلقات نارية وصبية مبتهجة تردد كلمات لا يتبينوها. يتضاحك أفراد القافلة فيما بينهم إذ لم يسبق الاحتفاء بهم بهذه الطريقة. يعتقد أبو بكر بأن الواحة تحتفل بعرس، وبأن المجموعة ستكون محظوظة إذا حضرت الحفل حيث تقام الولائم وتضرب الدفوف لثلاثة أيام.

مع دخول الواحة، يصير الكلام واضحا لأذن من يفهم العربية. البدو الثلاثة وعين لا يصدقون ما تصله أذنهم، وتبدو دهشة غير عادية على ملامح وجوههم. يوقف أبو بكر أحد الصبية ويسأله ما هذا الخبر. يؤكد الولد صحة الخبر ويردده باقي الصبية من خلفه.

" أمريكا انضربت.."

باقي المجموعة يلتقط كلمة أمريكا، لكنهم لا يفهمون الموضوع. يسأل واحد من الأمريكان " ما الخبر؟". والأطفال يرددون " أمريكا انضربت". بمشاعر متناقضة يترجم أبو بكر الخبر. لكن لا أحد يصدّق. يذهبون إلى مقهى امتلأ عن آخره برجال وشباب يهتفون " الله أكبر" أمام شاشة تلفاز ينهار من خلالها برجان مشتعلان. " أمريكا انضربت". يردد الأطفال والكبار. " أمريكا في حالة حرب" تعلن الشاشة.

ما بين ذهول وصدمة وفرحة معلنة ومستترة، يقرر الأمريكان قطع رحلتهم والعودة إلى بلادهم.

للصحراء قدرة لا تمتلكها المدن. ما بدأ يتعاظم في شوارع المدن وأزقتها، نفضته الصحراء عنها وبعثرته رياحها حتى تلاشى أثره.

في الغات، تزور عين ومجموعتها كهوفا ومغارات جبلية امتلأت جدرانها وأسقفها بحياة قديمة. رجال ونساء وحيوانات ظهروا من العصر المطير. تتلمسهم عين وتتمنى لو كانت بينهم.

تقرر المجموعة أن تواصل رحلتها إلى النيجر وصولا إلى العمق الأفريقي. يسأل جورج عين إذا ما كانت تحب مواصلة الرحلة معهم. لا تعرف. تسأله متى سيغادرون. صباح الغد. " سأفكر وأرد عليك في الصباح."

تغريها فكرة العمق الأفريقي. لكن شيئا ما يشدها لمواصلة الرحلة غربا. ربما تصل إلى المحيط الذي لم تره من قبل. لكن ما يشدها ليس المحيط بل الصحراء. تعرف أن ما ينتظرها غربا هو كهوف الطاسيلي ورسومها التي لا تختلف عن كهوف الغات، ومنحوتات الهُجار الصخرية. ومع ذلك سيكون أمر آخر. هكذا تقرر أنها ستمضي غربا إلى أن يكون ذلك الأمر المبهم.

في الصباح، تتبادل عين والمجموعة العناوين وأرقام الهواتف ووعود برحلة صحراوية أخرى في العام المقبل. ستفتقدهم. لكنها لن تفي بوعودها.

لحســن الحظ، تتعرف عين على مجموعة أخرى. فرنسيون من هواة السفر الى الأماكن الخطرة كما يخبرها منظم الرحلة. لا يحــدث تفاعــل حقيقي بينها وبين هؤلاء الفرنسيين، خاصة منظم الــرحلة الــذي بــدا مغرورا بدرجة لم يحتملها أحد، حتى أفراد مجموعــته. لكنه لا يمانع في أن تنضم عين الى المجموعة عندما يعــرف أنهــا أيضــا ســتتوجه غربا، على أن تساهم في تكاليف الرحلة.

يستعين بيير منظم الرحلة بدليل من الطوارق سبق له التعامل معــه. ورغــم أن بييــر يعرف المنطقة جيدا إلا أنه يريد إضفاء الروح المحلية على الرحلة كي تبدو أكثر مصداقية أمام مجموعته المتنافــرة. التنبكتي، الدليل الطرقي، ملثم بعمامة طولها اثنا عشر متــرا ولا يــري منه سوي عينين رماديتين. كلامه قليل وصوته مــنخفض. لكــن مــع مرور الوقت، سيصبح التنبكتي دليل عين الشخصــي. وفي كهوف الطاسيلي، سيخبرها أن مركز العالم هنا، وأن أصل الحضارة المصرية من هنا. وأنه بعد انقطاع المطر في زمــن بعــيد، هاجر سكان الطاسيلي الى الشرق واستقروا بوادي النيل. ربما.

تسأله أن يكشف وجهه. يرفض

ما بين الكهوف وحياتها السابقة، والصحراء بكثبانها وأعمدتها الصخرية ومنحوتاتها الحجرية تشعر عين بأنها تقترب من نهاية رحلتها. تغفو بأحد الكهوف. يعطيها صياد مفتاح الحياة وبقرة. تفتح عينيها وتبتسم. البقرة أمامها على الجدار. تسترجع صورة الصياد وتقارنها بالرسم المنحوت. يشبهه. تقول لنفسها. وتشعر به يعود. تشعر به يملؤها. بسلاسة وهدوء مثلما ذهب عنها. تنتبه عين لما يحدث لها. عاد إليها الحب. عاد إليها صافيا تماما، خالصا من كل شوائبه. منزها عما سواه.

تخرج من الكهف. التنبكتي ينتظرها. يقرأ عينيها.

" تمّت رحلتي."

" أعلم."

تجلس على صخرة حجرية وسط الصحراء. تُجسّد الوضع المثالي للانتظار. جلسة ممنون على مقعده الحجري بالبر الغربي. من غروب الشمس حتى شروقها. اثنتا عشرة ساعة تنتظر انتظارا مطلقا. لا تتأمل النجوم، لا تفكر بشيء، ولا تبحث عن شيء تقضي به الوقت. فقط تنتظر ميعادها بهدوء.

في الصباح تقوم من جلستها وتحزم أغراضها. يُوَصلها التنبكتي الى مطار تمنغست. وهناك يهديها رداء طرقيا، ويكشف لها وجهه. تتطلع إليه طويلا. ساحر الصحراء. تودعه من دون عناق.

فـــي مطـــار هواري بو مدين، وأمام شباك الجوازات، تعود عـــين إلـــى الواقع الجغرافي عندما يقلّب الموظف صفحات جواز سفرها عدة مرات. بحيرة ونفاد صبر يسألها الموظف عن تأشيرة الدخـــول. تـــدرك عـــين لأول مرة أنها عبرت الحدود الجغرافية المرسومة فقط على الخرائط، وأنها الآن في مطار دولة أخرى لم تـــدخلها بتأشـــيرة. الموظـــف يسألها مجددا، " مدام، من أي نقطة حـــدود دخلـــت؟" ترد عين أنها جاءت من الصحراء لكن لم تكن هناك حدود. يسألها الموظف أن تحدد بدقة. تجيب أنها جاءت من الغات إلى الطاسيلي. ينظر إليها الموظف مستغربا، " لحالك؟" لا. كانـــت مع مجموعة. يأخذ الموظف الجواز ويحتجزها في غرفة جانبـــية. تسمع نقاشا في غرفة مجاورة. ليس لديها تأشيرة دخول، قادمـــة من مطار تمنغست، تقول أنها جاءت من ليبيا، المصريون لا يحـــتاجون تأشـــيرة لدخول ليبيا، نعطيها تأشيرة دخول بتاريخ قديم، نرحلها عن طريق السفارة... عين لا تصدق ما تسمعه. هي كانت في الصحراء. هذا ما تعرفه.

يســـتدعيها الموظـــف لمخاطـــبة مرؤوسيه. يسألها الموظف الأعلـــى رتبة نفس الأسئلة السابقة. فتحكي عين باختصار رحلتها مـــن سيوة إلى تمنغست. يُقلِّب الموظف صفحات الجواز ويتفرج علـــى تأشـــيرات قديمة لدول أخرى. " أنت تعلمين إذن بضرورة

الحصول على تأشيرة؟" تجيب عين أن نعم، لكنها لم تكن تعلم أنها ستصل إلى الجزائر. يسألها عن وظيفتها. عادة ما ترد على هذا السؤال في نقاط الحدود بسيناء بإجابة محددة، " ألا تعرف القراءة؟" لكن وهي مهددة بالترحيل تتخلى عن نبرة التحدي، وتتحلى بالأدب، وبكل هدوء ترد، " باحثة اجتماعية بمنظمة دولية." ثم يسألها عن تاريخ وصولها الجزائر. لا تعرف. كم يوما مكثت بالجزائر. لا تعرف. ينظر إليها الموظف وهو في قمة تعجبه. هذه حالة فريدة من نوعها. في النهاية، يمنحها الموظف تأشيرة دخول بتاريخ سابق وهو يحذرها بأن لا يتكرر ذلك، ثم يضيف بمزاح، أنها لو دخلت بدون تأشيرة مرة ثانية سيضعها في السجن بنفسه. تشكره بحرارة وتعد ألا يحدث هذا الأمر ثانية.

من صالة المطار الداخلية تتصل بعلي. يأتيها صوته محملا بالدفء وبالقلق. أين هي. في الجزائر. ماذا تفعل. تتعلم الصبر. متى سترجع. الليلة.

" أريدك أن تكون أول من تراه عيناي في القاهرة."

أمام صالة الوصول بمطار القاهرة ينتظر علي. تخرج له فرعونة صغيرة في رداء طرقي أبيض. تقف أمامه، وتثبت مكانها بكبرياء أميرة. ينظر علي إليها ، مشدوها، بها، بالجنون المتجسد أمامه. ولا يقول سوى، " أنت مجنونة" وهي في حضنه.

3

تقبض اليد على اليد وكأننا لا نريد أن يفلت أحدنا الآخر. تتصادق روحانا من جديد، ويملؤني اليقين أننا لن نفترق أبدا مهما حصل.

في الطريق يسألني علي إن كنت قد تعشيت. أومئ رأسي إيجابا.

" نتعشى تاني مع بعض؟"

أتطلع إلى عينيه. وأومئ مرة أخرى.

" إيه؟ انتي تعلمت الصبر أم الصمت؟" يمازحني وهو غير معتاد على لغة الإشارات خاصة مني.

" تحكي إيه؟"

عيناه تفيضان حبا. لكني أستمتع برغبته الحارة في معرفة حكاياتي.

ثم أحكي كل شيء.

يتابعني بشغف، ولا يقطع حديثي المسترسل. أتوقف لأري أثر غيابي عليه، ووقع حديثي، فيستحثني، " زيدي." وهو يهز رأسه متعجبا.

" لم أفعل يا علي الشيء الذي لا أستطيع أن أحكيه لك."
"كل ده وما عملتيش حاجة!"
نضحك سويا.
ثم أُذكّره وأذكّر نفسي، " أنا سألتك يا علي أستناك، قلت لا"
"صحيح... طيب ايه اللى مش ممكن تعمليه؟"
" أن أنـــام مع شخص تعرفه.... وأن أدع شخصا يلف ساقه حول ساقي ويشبك ذراعيه على صدري."
تصدر عنه تنهيدة نادرة.
" نمشي؟"
" يللا."
السيارة تتجه ناحية المهندسين. أستوقف علي.
" علي، البيت الناحية التانية."
" انتـــي عايــزة تروحـــي لبيـــتكم؟" سألني باستغراب. فأرد باستغراب أكبر واستخفاف.
" أمال هبات مع مراتك؟"
يوقف السيارة على جانب الطريق، ويستدير إليّ.
" عين، أنا لم أتزوج."
" ايه؟... ازاي يعني؟"
" أنا متجوزتش. مبتفهميش عربي؟"
" علي، أنا سألتك في التلفون."
" انتي سألتيني اذا كنت مبسوط، قلت لك نعم. وده مش معناه اني اتجوزت"

لا أصدق ما أسمعه، " طب ليه ما قلتش؟"

" انتــــي مـــا ســـألتيش. انتي اتهمتيني اني اتغيرت، وأغلقتي الخط."

نصل البيت. بيته. بيتنا.

كل شيء مثلما تركته يوم أوصلته إلى المطار ليتزوج. لا أثر لمرور امرأة أخرى. ولا أجد كلاما أقوله.

" تزيدي نبيذ؟"

أومئ برأسي. وأحتار في ما أفعل. ورغم كل ما حكيته لعلي أجـــده طبيعيا معي. ولم يتزوج. ما هذا العبث؟ أتذّكر أني قلت له مـــرة أنـــه لن يتزوجها. لكن بالتأكيد لم يحدث ما تنبأت به نتيجة قدرات خارقة أمتلكها. وقد كفرت بمبدأ إرادتي وإرادة العالم. لكن ألــم تكـــن رغبتي الخالصة هي ألا أفترق عن علي. نعم، لكني لا أصدق.

يفـــتح علي زجاجة نبيذ فاخرة ويتذوقها نيابة عني. ثم يصب لنا كأسين.

" بتفكري في إيه؟"

" فـــي القدر." أرد بتهكم. ثم أسأله السؤال الذي أعرف أنه لن يجيب عليه بإسهاب. اختلفنا وتأجل الموضوع. إجابة مقتضبة جدا لا ترضي فضولي، وهو لن يفسر.

و يُغيّــر الموضــــوع. وبنظرة ذات مغزي وبمزاح يسألني، " وساحر الصحراء، هذا الطرقي، عملتي ايه معه؟" أضحك ضحكة

عالــية وأرد بنفس نبرة المزاح، " هو الوحيد اللي فشلت معه..لم يعطني أي فرصة". أدّعي الشعور بالأسى، " خسارة...فلت مني"

يشــدني الــيه برقة ودلال، " وواحد فينيقي بربري عربي ما ينفعش؟"

أتدلل أنا الأخرى وأنا أتراجع، " تؤ... راحت عليه"

أشــعر بــه يكاد يموت من فرط رغبته فيّ. أنظر في عينيه وأتســاءل بيني وبين نفسي، " انت عايز ايه يا علي؟" يقرأ سؤالي خطأ، أو ربما يستهبل،" انتي مش عايزة؟"

أجدني أزيد في التدلل رغم صحة ما أقول بالنسبة إليّ.

" لقد تصوّفت."

" ايه؟" وينفجر في الضحك. وينسكب النبيذ على ملابسنا.

كم أحب ضحكته وغمازات خديّه والفواصل التي بين أسنانه. يا الله، ماذا أفعل مع هذا الرجل.

" أفسدت ردائي الطرقي يا رجل."

" معلش، هجيبلك غيره." يرد وهو غارق في الضحك.

" طيب يعني مش هننام؟" يسألني بعد أن أنهينا زجاجة النبيذ.

" أكيد هننام، بس زي الاخوات."

" زي الاخوات... طيب روحي نامي في الغرفة الأخرى."

لكــن الغرفة الأخرى ستنتظر أوقاتا أخرى، وسيجيء وقتها حتما. أما الآن...

أدعــه يأكلني كيفما يشاء لكن دون اشتهاء من جانبي. ذهني يعمــل أســرع من استجابة جسدي الحسية. بحبك يا علي، لكني

تغيّرت. وبذلت من نفسي كي أصل إلى هذه الحالة. أن أحبك حبا خالصا وألا أشتهيك. أشعر بأني اجر إلى العلاقة التي نبذتها. يدرك علي أني معه ولست معه، فيتوقف. " أنا خايفة." أهمس كأنما لنفسي. " خايفة من إيه يا عين؟"، " مش عارفة." وأبكي. تنهمر رغما عني الدموع التي تحجرت يوم سافر. يضمني إليه بطريقة لا أستطيع وصفها. بها كل الحب، كل الدفء، كل المعزّة. " بلاش بكاء، أرجوكي."

في الصباح، أعود أنا إلى منزلي ويذهب علي إلى عمله على أن نلتقي بالمساء. أجد جدتي لا تزال على كرسيها المفضل كما تركتها. أحكي لها بعضا من رحلتي وأهديها زهرة من زهور الرمال. وأدخل غرفتي لأفكر في ماذا بعد.

لا ألتقي علي في المساء. أهاتفه وأخبره أني سأسافر إلى سيناء. يسألني عن السبب. لا أجد جوابا مقنعا، فأقول، " كده." لا يُلح، ويتمنى لي رحلة آمنة.

لكني أعرف أن خشيتي من الدخول في دوامة العلاقة هي التي تدفعني للسفر. وهي التي ستجعلني أتعلم الغوص وممارسة الجنس تحت أمتار من الماء. لكن لا شيء يجدي. أبقى أسبوعا في سيناء ثم أغتسل جيدا بماء البحر وأعود برائحة اليود التي يحبها علي.

في المكتب، أحكي له كل شيء.

ظننت أنه سيتضايق، سيغضب، سيبتعد.

لكن ما أحكيه يجعله يرغب فيّ أكثر.

" لكنه لن يتزوجك أبدا بعد ما حكيتي كل هذه الحكايات." ستقول لي عائشة، صديقتنا المشتركة، والتي تعرفه من سنوات طويلة، وتعرفه جيدا. وسأرد عليها بأنني لا أسعى إلى الزواج به. أنا أحبه فقط. ولن تحبه امرأة مثلما أحبه. " وهو أيضا يحبك، لقد

رأيته وهو ينظر إليك. وأنا أعرف علي من زمان. لم أر هذه النظرة من قبل. وسيتعذّب بحبك يا عين، لأنه لم يتخيل يوما أنه قد يحب لهذه الدرجة. ولن يقدر على الزواج منك." أعرف. أعرف ذلك جيدا. أعرف أنه أحبني رغما عنه. وأعرف أنه لن يتزوجني. وأعرف أني تخليت عن مادة الحب كي أبقي على الحب.

هل أنا أنانية؟ يفاجئني السؤال. هل أنا أستخدم علي كموضوع للحب؟ مادة لرواية؟ بانتهائها ينتهي دور علي كمادة؟ هل هذا التلكؤ في الكتابة نابع من رغبتي في ألا تنتهي أبدا..كي لا ينتهي الحب. هل أخشى أن ينتهي الحب فعلا، ولذلك أطبعه حروفا على الورق. لأستعيده في أوقات فراغي عندما تتقدم بي السن، أم لأقلب الصفحة وأغلق الكتاب نهائيا. أخجل من نفسي. إذ أن مجرد ظهور السؤال على سطح الوعي يعني أن نسبة ولو ضئيلة من التساؤل صحيحة.

أسلم أمري لله. أسلم أمري له. سيكون ما قُدّر له أن يكون.

أعــود إلى علي بكاملي. وتعود علاقتنا أفضل مما كانت بعد أن تــتقلّص هواجسي وشكوكي. نقضي معظم الوقت معا. أنتهي مــن عملي وأمر عليه. أغتم بقراءة الجرائد والكتب إلى أن ينتهي مــن عملــه. نتعشــى معــا ثــم نــذهب إلــى البــيت. ونتابع الأخــبار.التلفزيون مفتوح طول اليوم في المكتب وطول الليل في البــيت. سنشــاهد معا قصف البيوت الطينية وفرار أطفال ونساء وشــيوخ إلى الجبال في أفغانستان. وسنستيقظ فجرا ذات يوم على صوت القنابل وهي تسقط على بغداد. وستتحجر الدموع في عينينا رثاء لحضارات بلاد ما بين النهرين. وسننتظر دورنا.

أطلــب منه أن يطفئ التلفزيون. لم أعد أحتمل. يجيب أن هذا عملــه. ســماع الأخــبار صار يوترني. وصرت أشعر بالألم في أذنــي. أذهــب إلى الغرفة الأخرى وأستلقي على الفراش. أحاول التفكير في شيء مبهج.. أنتظر إلى أن يغفو علي وأخفض صوت التلفــزيون. أنظر إلى ملامح علي. هادئة. وكأن الأخبار لا تؤثر فيه. لقد مرّ بالأسوأ.هكذا قال لي ذات مرة. أستلقي بجانبه. يشعر بــي، ويمــد ذراعــه كــي أتوسدها، ويلف ذراعه الأخرى على صــدري. توتري يزول شيئا فشيئا. هنا أريد أن أكون. بين هذين الذراعين أريد أن أبقى. العمر كله. وما بعده.

أحلـــم أنــــي أنجب منه طفلة في نهاية العام. برج الجدي مثل أبـــيها. أحملهـــا بـــين ذراعيّ.. أحتار ماذا أسمّيها. تنطق الطفلة. اسمي وردة.

أخبر علي بالحلم. يستمع دون أن يقول شيئا.

" أريد بنتا منك يا علي. أريد أن أحكي لها عن حبي لك."

لا يُعلـــق. أرى لمعة في عينيه. وأرى التردد على كل ملامح وجهـــه. وبعد صمت يقول، " لا تعقّدي الأمور يا عين." ويجعلني أعده ألا أفعل هذا الأمر من وراء ظهره.

أريـــد طفلــــة مـــنه. لكني لن أقدر أبدا على خداعه كما تفعل أخـــريات، وأضـــعه أمام الأمر الواقع. لا أعرف من الأناني فينا. لكنـــي أعـــرف أنني إن فعلت ذلك رغما عنه، سأفقده. سأفقد حبه واحترامه إلى الأبد.

أقمع رغبتي.

لكـــنها تطفو من حين لآخر. وفي أوقات الصفاء أسأله، " ألم يحـــن الـــوقت بعـــد لطفل؟" يضحك مرة، ويتهرب مرات. أثور. وأهـــدده بأنـــي سأجعله يشرب حتى الثمالة، ثم آخذه إلى المأذون وأتـــزوجه، وأفعـــل ما أشاء. يغضب، ويقرر بحزم أنه لن يشرب معي مرة أخرى. وينسحب إلى الغرفة الأخرى.

أعاقبه بالبعد. ولا أعرف إن كنتَ أعاقبه أم أعاقب نفسي. ثم ألوم نفسي وأذّكرها أنها المحب وهو المحبوب. أنها الساعي وهو المسعى إليه. أذّكر نفسي بالحب المنزه الذي ملأ قلبي في صحراء تمنغست.

يسافر في مهمة رسمية لمدة أسبوع. أنتظر عودته بقلب واجف. أخشى ألا يقبلني من جديد. أعرف أني أسأت إليه. أستغفر ربي لأني لم أراع حقه في علي. وأطلب منه أن يُخلصني من أسر طبيعتي.

أنتظر علي بالمطار والقلق في عيني. يراني فتنبسط ملامحه وأرى فرحه بانتظاري، رغم أنه لا يحب الوداع أو الانتظار بالمطار. يأخذني في حضنه بنفس الود والمحبة. فقط عيناه تعاتبانني، وتترجاني أن أكف عن جلده. لو أكف أنا عن عدم ثقتي به، أو بنفسي...

نقـــرر الهــرب مــن القاهرة بزحامها وترابها، ومن الأخبار التعيســة والـــنفاق السياســي لنقضي عطلة العيد معا في سيناء. المســافة طويلة جدا، لكننا نقضيها ونحن نردد مع أم كلثوم مقاطع من " انت عمري". يتذكر علي فتاة فرنسية بكت وهي تستمع إلى هذه الأغنية رغم أنها لم تفهم معنى الكلام. كان ذلك في البرتغال. يسترســل علي في حكي بعض من ذكرياته. يضحك وهو يتذكر ليلة أن سكر في مدينة ما مع فتاة رائعة الجمال واستيقظ في مدينة أخـــرى وبجانــبه امرأة بدينة جدا لا يعرفها. أحب حديثه حتى لو عــن نســاء أخــريات. أستحثه لحكاية المزيد، فيحكي عن بعض رحلاته ومغامراته.

نســبح فــي البحر، نرش بعض بالماء، نتراهن على السمك الملــون، نغــيظ بعــض ونتضــاحك كالأطفــال، نأكل ونشرب، ونســتمتع. الحــياة فــي سيناء لها طعم مختلف. خليط من البدو والمصــريين والأجانــب يجعلك تشعر وكأنك في بلد آخر. لكني أستكثر على نفسي السعادة.

بالمساء نذهب إلى بار. نشرب ونتحدث لساعات. يُعلّق علي علــى بعــض الأمــور الســيئة الموجــودة بسيناء كقلة النظافة، وعشــوائية المبانــي، ويقــارن بــين هذا المنتجع وبين مثيله في المغرب. أوافقه في الرأي رغم أني لم أذهب إلى ذلك المكان الذي قصــده في المغرب. نواصل الشرب ونتحدث في أشياء أخرى. ثم

يــرن هاتفــه. يتحدث بلهجته فأعتقد أن المكالمة من بلده. يستأذن ويبــتعد حتى لا أسمع المكالمة. لماذا يبتعد؟ لابد أنها خطيبته. إذن همــا علــى اتصال. لا يغيب علي. أتجاهل الأمر. نستأنف حديثنا لكــنه يستشــعر تغيــرا ما فيّ فيسألني ما الخبر. لا شيء. يطلب مزيدا من البيرة. تأتي ساخنة، فيعلق على ذلك بهدوء.

" مــش عاجــبك، إمشــي. مش عاجباك البلد، إمشي" أقول بانفعال.

علــي ينظر إليّ وهو غير مصدق لما يسمعه مني. ولا يقول شيئا. نخرج من البار ونذهب الى مطعم. يطلب سمكا ومزيدا من البيرة. يشرب ولا يأكل. أحدثه فيرد باقتضاب. وفي الفندق يطلب أوراقــه التــي تركها معي، ويترك لي مبلغا من المال. أنظر إليه بعدم فهم. " أنا راجع القاهرة بكرة، لوحدي."

" ليه؟" أسأله وأنا لا أفهم سر الغضب المكتوم في صوته.

" مش عارفة ليه؟"

أنتــبه لنبرة ألم في صوته لا يمكن أن تخطئها أي أذن. أبكي لألمه دون أن أعرف السبب، وأسأله ثانية " في ايه يا علي؟"

" أنا مش هسمح لنفسي اني أسمع الكلمة دي تاني منك أو من غيرك."

بذهول أسأل، " كلمة ايه؟"

" إمشي."

رددت الكلمة. " فيها ايه؟"

" الطريقة التي نطقت بها الكلمة."

لا أتذكــر كــيف نطقت الكلمة. ولا أفهم سر الألم والغضب الذي يشعر به علي. فأقول له أنني لا أفهم شيئا.

" أنـــا بحب مصر، ويمكن أكتر منك. ولن أسمح لأي كان أن يقول لي " إمشي" من هنا"

" مصر... ايه اللي جاب سيرة مصر... ايه اللي دخّل مصر في الموضوع؟"

يضع أغراضه بالحقيبة ويدخل الفراش.

" علـــي، أنـــا مـــا قصـــدتش كده... انت فهمتني غلط... أنا غِرت.. انت كنت بتكلم خطيبتك."

دون أن يستدير، " أنا ما كنتش بتكلم مع خطيبتي"

" علي أنا آسفة"

يواجهني، " أنا كمان آسف"

وينهي الكلام بتصميم، " رجاء، هذه هي النهاية، ولا أريد أن نلتقي مرة أخرى."

لا الاعتذار يفيد، ولا البكاء. حسم أمره.

هذه المرة
الرفض حاسم، نهائي
و أنا استنفدت مرات الفرص المسموح بها للجنون
آسف
هكذا نطق بقطعية نصل حاد
لا ينفذ معها حوار أو استئناف أو همهمة اعتراض
آسف
هكذا لفظ بعزم جسد يحتضر
انتفض في اللحظات الأخيرة
ليلفظ حمى كادت أن تفتك بخلاياه

لفظنِي خارج مجاله الحيوي
و غلق ثغراتي التي كنتَ أتحايل
و أنفذ منها إلي داخله
لفظني كما يلفظ الجسد ما هو طفيلي أو زائد عن الحاجة
و في حالتي ضار
آسف
جمدت في مكاني معطلة
أخرج من الغرفة، وأجلس على الشاطئ المواجه الى أن تطلع الشمس. أتفاءل وأنا أتابع الشروق، وأقول لنفسي، " يوم جديد." سيغفر لي علي. أعود الى الغرفة وأجده يحلق ذقنه. " صباح الخير." يرد الصباح دون أن ينظر إليّ. " علي، انهارده يوم جديد." ينتهي من الحلاقة، ويرتدي ملابسه. أغيّر ملابسي على عجل.
" لن تأتين معي"
" علي..."
" رجاء بلاش مشاكل"
أتبعه إلى السيارة. أفتح الباب وأجلس.
" عين، رجاء..لا أريدك معي."
أظل مكاني.
يوصلني إلى منزلي بعد تسع ساعات متواصلة من البكاء، والصمت النهائي من جانبه.
أتصل به. لا يرد. أرسل له رسائل قصيرة. لا يجيب. أكتب له خطابا.

حبيبي علي...

لم أقصد أبدا الإساءة إليك، كيف أقصد وأنت حبيب قلبي والروح التي اقترنت بها روحي. كيف يا علي وأنت النور الذي يملأ قلبي وينير ظلماتي.

أسأل نفسي.. ربما عدم الخبرة وعدم النضج. هل يشفع لي أنك أول حب وأول عِشرة عشتها بكل نفسي، بكل طاقتي، و بكل غشم. ربما الخطأ هنا، وربما اليأس.. لا أعرف.. كل ما أعرفه أني كنت كالمندوهة، أو ممسوسة إن شئت.. قوة رهيبة، أو عنف تملكني.. ولم أستطع إيقافه. ولا يعفيني أني كنت أعرف أني مخطئة. أنا لا أبرر تصرفاتي يا علي. أنا أحاول أن أفهم ماذا حدث.

إحساسي بالذنب يوجع روحي. عقلي يبرر، لكن قلبي لا يسامحني. أستغفر الله ليل نهار على إساءتي لمخلوقه، وأي مخلوق أنت... رسول الله إليّ، هدية الرب التي لم أعرف كيف أصونها.

الكتابة لك، وربما لنفسي، هي ملاذي الآن. أغلقت باب رحمتك في وجهي، ولم أزل أتمنى وأدعو الرب أن تفتح الباب ثانية. الأمل أفضل من اليأس. ليكن عندي أمل في وصالك من جديد إن لم يكن اليوم فغدا، وإن لم يكن غدا فبعد غد، وإن لم يكن في هذه الدنيا ففيما بعد، ربما يكون حينها الوصال صافيا.

عفوك يا رب، عفوك يا علي.

نعـــم، هـــناك فرق بين الحب وبين العلاقة. والحب وحده لا يكفـــي لإنجـــاح واستمرار العلاقة. ربما لم أفهمك جيدا، لكني لا أعـــرف الحـــدس. لست عرافة كما أدّعي أحيانا. كيف أعرف ما يغضبك. تزعل مني لأني أتشاجر معك في البار والبيت والشارع والمكـــتب. طيب، هذا أمر سيئ. لكني وجدت نفسي أتساءل، أين سأتشاجر معك. سترد، وهل لابد أن نتشاجر. سأقول، يحدث أن.. يتطلب الأمر الشجار أحيانا.. صحيح أن هذه الأحيان زادت، لكن هل تكون حياة بدون شجار وزعل وعتاب ولقاء...لم لا..

الكـــل يطالبني بأن أنساك، وأعيش حياتي. أنت حياتي. هم لا يعـــرفون عمق ارتباطي بك، بروحك. الكل يعتقد أنها علاقة، مثل أي علاقة. لكنها ليست كذلك يا علي، وأنت تعرف. أنت سكنبي.. منك أطلع وإليك أعود.. أنت سدرة منتهاي..

يا رب خلّصني من أسر طبيعتي..

هـــل يمكن أن ينقطع وصل الروح... لينقطع وصل الجسد.. لكن الروح.. لا يا علي. يا رب بحق جميع مخلوقاتك، بحق الكون كلـــه لا تفرقنـــي عـــن رسولك.. وأعدك يا رب... أعدك بماذا.. أخشـــى أن أعـــد بما لا أستطيع أن أفي به... أعد بأن أحاول أن أغيـــر من طبيعتي.. ساعدني يا رب، ولتغفر لي ما لا أستطيعه، هكذا خلقتني.

أكان ما بيننا وهما

هل ما أؤمن به كفر

هـــل حبـــي لـــك وحبك لي سراب... حتى لو كان كذلك فأنا راضية

الحياة قاسية جدا رغم مباهجها الكثيرة. ودون حب حقيقي أو متخيل لا تساوى شيئا.. الحياة بدونك يا علي لا تعنيني في شيء. لنبدأ من جديد يا علي. هناك عهد بيننا. أتذكر؟ مبادلة الحب بالحب والوفاء بالوفاء..

أبتسم وأنا أتذكّرك وأنت تفتح فمك لتلقي قطعة شكولاتة لوّحت لك بها. أقربها من فمك ثم أسحبها، فتغلق فمك مغتاظا، وتتعالى وتترفع. أقضم نصفها وأضع النصف الآخر في فمك، فتقضم الشكولاتة وشفتيّ... تعد القهوة لنا، وأفتخر أمام أصدقائي بأنك أنت الذي تعد القهوة والفطور أحيانا إذا شعرنا بالجوع، فيحسدني أصحابي. نجاور بعضنا على الكنبة، نرتشف القهوة، وأختلس منك قبلات سريعة.. ثم " يللا عين.. نمشي".. نحتضن بعض.. تقبلني..ثم ننزل.

كنت تمتعض عندما أستبقيك في الفراش بجانبي بعد أن نستيقظ. لا أشبع منك أبدا. " كل شوق يسكن باللقاء لا يُعوّل عليه – ابن عربي" أقول لك " خمس دقائق" وتتساءل أنت عن سر الخمس دقائق اللاتي لن تقدم ولن تؤخر... أن أستيقظ وأنت بجانبي.. رأسي على ذراعك اليمنى، وذراعك الأخرى على كتفي.. أنفاسك في شعري وعنقي... أشتاق إليك يا علي.. ثم انقطعت عن استبقائك جانبي عندما أفصحت. إنها لحظة قد تخضع فيها للنوم ثانية أو تنهض على الفور..

أيها الصبي ذو السنوات الإحدى عشرة..

أيـــن ذراعاك التي كنت تمدهما لتحتويني بينهما على الكنبة، ونحـــن نشـــاهد الأخـــبار الكئيـــبة. أسكن إليك وأخبئ وجهي في صـــدرك وأبكي أحيانا. أعلم انك لا تحب رؤيتي وأنا أبكي، لكن يحـــدث أحـــيانا أن أضعف ولا أداري. ولماذا ندّعي القوة ونحن أضعف ما نكون وفي حاجة لمساندة بعضنا...

أيها الصبي..

أيـــن ذهبت ابتسامتك الماكرة التي تكشف عن فواصل أسنانك التـــي أعشقها.. أين أطراف أصابعك التي لا أملّ من تقبيلها.. أين طـــرطوفة أنفك التي تهرب من مداعباتي.. أين عيناك الصافيتان الحانيتان والمتعبتان اللتان أشفى عندما أقبلهما..

أنتظر. أتعب أحيانا، لكني أنتظر.

في العادة أحتسي الخمر كي أتمكن من البكاء بحرارة
أو الإعلان عن مواقفي بصراحة قد تكون فجة أحيانا
أو للدخول في حالة ضحك هستيري متقطع
هذه المرة
أشرب كي أكتئب بسعادة
كي أملأ الفراغ بالفراغ
دون ملل
أو تساؤل
أو انتظار لشيء يحدث
و لا يحدث.
في صحتك يا علي...

كانت لنا ليال هانئة سكرنا فيها معا واستمتعنا معا... ربما لن تتذكّر لي إلا الليالي التي سكرت فيها وتوحّشت.. لكن كانت هناك أوقات حلوة أيضا، سعدت بي وسعدت بك.

غلبني الهوى يا علي ولم يغلبك. وإن لم أحب سواك، يكفيني أن عرفت الحب معك وعشته بك.

أتأمـــل صـــورتك، تلــك التي أحبها ولا تعجبك. بها غضب مكـــتوم، وكبـــرياء، وحـــزن. لم الحزن يا علي. أفضل غضبك الصريح المعلن على هذا الغضب الصامت. الشفتان المضمومتان بقـــوة تنطق أني لن أقول شيئا. أنفك الملووح.. أنت لا تصدق أن أنفــك ملـــووح. لتنظـــر إلـــى هذه الصورة وسترى. من ناحيتي ملـــووحة شمال، ومن ناحيتك ملووحة يمين.. لكن عجباني... كل حاجة فيك عجباني ما عدا رجليك... خشبتين..

عـــندما أرى تصرفات الرجال الآخرين، أكتشف أني جاحدة. لـــيس هناك من هو في كرمك وأخلاقك ونبلك ورقتك... وقسوتك أيضا.

أؤمـــن بعبارة إن رغب المرء بشدة في شيء وأخلص، يتآمر العـــالم كلـــه من أجل تحقيقها. لكني أخشى أحيانا أن تكون كلام روايـــات. لكـــن هناك أشياء رغبت فيها حقا وتمنيت على الله أن يحققها لي وحدثت، وأنت تعرف ذلك. هل يعطيني ذلك مزيداً من الأمـــل... كنت سأكتب الألم.. وقد يكونان مترادفين. الأمل الألم. مـــزيد من الأمل يساوي مزيدا من الألم. الشرب يجعلني أتفلسف أحـــيانا. لكنـــي لا أريـــد أن أسكر. لأني عندما أستيقظ ولا أجدك بجانبي يهبط عليّ حزن العالم كله. أمل بدون ألم إذن.

الخـــروج من الدائرة عصي، محاولات يائسة تشبه تلك التي تقوم بها القطط في متاهات معامل علم النفس بكليات التربية. أحلم بامـــرأة حبلى تسأل عن الطلق. اكتمل الحمل. فهل ستنفتح الدائرة وأولد من جديد.

تهاتفني عائشة وتلومني على تصرفاتي مع علي. ثم تبشرني بخبر تمنيته من كل قلبي. خطيبة علي فسخت الخطوبة. لا أصدق أذنـــي لكنـــي أفـــرح كثيرا. تقول لي هذه فرصتك، لكن عليّ أن أتوقف عن الشجار معه، وأن أصبر إلى أن يهاتفني هو.

لكني لا أصبر. أتصل به مرارا. لا يرد.

يـــا رب لـــم تعذبنـــي بحبي... لماذا كلما اتبعت قلبي بكيت. تخـــيلت الأمل مجسدا أمامي وفرحت. أعرف مشكلتي. أنا أرفض تصـــديق الواقع وأصدق أوهامي أنا. أرى من العلامات ما يتوافق مع رغباتي، وأكذب الإشارات الأصدق.

أســـتيقظ مـــن النوم شبه محمومة. أفتح عيني، تتساقط عليّ أفكـــار اللـــيلة الماضـــية. أستعيد الهلع والألم مرة أخرى، وتنزل دموعي دون إرادتي. أرثي لحالي وأشفق على نفسي. ولا أعرف كـــيف أخرج من هذا الشرك. أسأل نفسي لماذا أبكي، أنهض من الـــنوم أبكي، أذهب للفراش فأبكي.. هل هو الضعف أم الخوف أم الوحدة أم اليأس.

ما يحزنني حقا أني أعرف أنك أحببتني وأعطيتني من نفسك ما استطعت. لكن كيف تظن أني أقصد الإساءة إليك؟ ..

أنا أتدهور.

عفوا حبيبي...

لـم أعـد أهتم الآن. تجيء أو لا تجيء. أشيح بوجهي لجهة أخرى عندما أفكر بك. أرفضك بداخلي. أفتقدك أحيانا لكني أراجع نفسـي قبل أن أخضع لضعفي، لك. ضعفي مرادف لك. سعيدة أنا بهـذه القـوة الجديـدة. حبات وردية صغيرة منعت دموعي من الانهمـار كسـيل أحمـق لا يعرف ما يدفع أمامه. الحبة الأولى أخـذتها بعـد ثـلاث زجاجات بيرة. وجلست أتابع مفعولها وهو يسـري بداخلـي. أبدأ التفكير، فترفض نفسي التفكير بك، وأشيح بوجهي بعيدا عنك. أشعر بموقفي وهو يتغير تجاهك. موقف سلبي ايجابـي. وفي الصباح أقتنع أنني أفضل، وآخذ حبة أخرى. أشعر بـثقل وحـزن. فـي منتصف اليوم أجدني أبكي مجددا. ما الذي حدث. آخذ حبة أخرى. يتزايد الحزن ويتفاقم الألم في روحي.

أتصـل بصديق، طبيب مختص. ينصحني بدواء آخر. حبات ورديـة أخرى مثلثة الشكل. أبدأ في تناولها وأشعر بتحسن. أشعر بأننـي قـوية، بأننـي لا آبه لشيء. سأعيش. أفتقدك، نعم. أفتقد الحـديث معـك، نعم. لكني قوية. لا أفكر كثيرا في الاحتمالات. أضع الأسوأ أمامي، ثم أتخيل إمكانيات جديدة ستتاح أمامي. الحياة مليئة بالمفاجآت. سأنتظر المفاجآت. لم يعد الحزن يثقل عليّ. أحن إلى الاتصال بك، لكن نفسي ترفض. لا أريد تعريض نفسي للألم مرة أخرى..

سـأذهب إلـى سـيناء، وهناك سأبدأ من جديد. حياتي التي أعـرفها وأعرف كيف أتعامل معها، حتى لو لم تعد هي ما أريد

بالضبط. لم أكن لك، ولن أكون لأحد. مثلك. لم تكن لي ولن تكون لأحـــد سواك. هل ما أقوله من تأثير تلك الحبات.. سأعرف عندما أتوقف عن تناولها.

فيـــروز تغني، " زعلي طوّل أنا وياك، وسنون بقيت أجرب فـــيهم أنا أنساك، وما قدرت أنساك." أبتسم لنفسي... سنين !! ليس في العمر سنون يا حبيبي كي نجرّب فيها أن ننسى..

أســتيقظ ظهـــر اليوم التالي بشعور مغاير. هل فقدت الحبات مفعــولها. يملؤنـــي حنـــين جارف إليك يا علي. أجدني أخاطبك بكلمات الود القديم، وهو ليس بقديم. وحشتني يا علي... يا إلهي.. هل سأصاب بانتكاسة..

تفاجئنـــي جدتي وأنا أبكي، وتسألني عن السبب. أخبرها بما حـدث. تحكـــي لي قصة مشابهة. بعد شهور من زواجها، كانت تتذمّـر مـــن بعض الأمور التي لم تعتدها في روسيا، ومن بعض الـــتحكم مـــن جـــدي. وفي إحدى المرات، قال لها جدي، " مش عاجـبك العيشة هنا، ارجعي بلدك." تحكي أنها غضبت من كلامه وخاصمته أياما إلى أن اعتذر لها وقال أنه لم يقصد. أقول لها أن أسابيع قد مرّت وأن علي لا يرد على مكالماتي. تنصحني بالصبر إلى أن يهدأ. ثم تذهب إلى غرفتها لتنام. بعد قليل تناديني وتذهلني بإحدى أفكارها التي لا تخطر على البال.

" بخِريه... يمكن اتحسدتو"

رغم كآبتي، أضحك وأنا أهز رأسي تعجبا.

" يا نينة، أنا لا أؤمن بالحسد"

" بقولك بخِريه... مش هتخسري حاجة"

" أبخّره ازاي بس وهو ما بيردش عليّ؟"

" روحي له المكتب"

" خايفة يقفل الباب لما يشوفني"

" لو بيحبك، مش هيعمل كدة"

أحمـــل تـــرددي ومبخـــرة وبضـــع زجاجات بيرة، والحبات الوردية (احتياطي)، وأذهب إلى علي قبل أن ينتهي عمله.

يفـتح الـباب ويفاجأ بي. لا يقول شيئا. يترك الباب مفتوحا ويدخل إلى مكتبه. أدخل وراءه، يجلس أمام شاشة الكمبيوتر، ينقر لوحة التحكم. أجلس بهدوء، وأفكر كيف أبدأ الكلام.

يبدأ هو. يترك الكمبيوتر ويستدير إليّ.

" نعم؟"

أتلألأ في الكلام وهو ينظر إليّ من دون أي تعبير.

أستجمع شجاعتي، وأخرج المبخرة من حقيبتي.

" أنا جيت أبخرك"

ضحكة صفراء ترفع زاوية فمه اليسرى.

" انت اتحسدت يا علي."

هذه المرة يضحك بجد.

" على ايه ان شاء الله؟"

أتجرأ، " عليّ"

" ايه؟" بنبرة ساخرة.

"أصحابك حسدوك على حبي لك"

أشـعل البخور وأرقيه وأنا ألف حوله. رقيتك واسترقيتك من كـل عـين شافتك ولا صليتش عالنبي، رقيتك واسترقيتك م اللي بيغير منك ويحسدك على حبي..

يتركني أرقيه ولا يُعلّق.

" طيب، تشرب بيرة؟"

ينظر إليّ من علٍ، " أنا مش هشرب معك مرة أخرى"

أخرج البيرة من حقيبتي، وأقول له بمسكنة، " ماشي، اشرب لوحدك... لو جالك قلب."

يتنهد كمن لا حيلة له، ويذهب إلى المطبخ، ويحضر كوبين.

أحمد الله في سري. وأنتظر مفعول البيرة.

أجلس عند ركبتيه وأعتذر بإخلاص. ثم أعطيه الجواب الذي كتبته.

يقـــرؤه بـــبطء. ثـــم يضعه في درج المكتب وهو يهز رأسه بشيء من الأسف.

يلين.

" بلاش الحبوب المهدئة يا عين، مش كويسة."

" عارفة، بس ما كانش عندي حل تاني."

" أنا كمان، ما كنتش كويس.."

لا أقول شيئا. قلت في الجواب ما فيه الكفاية.

نـــذهب إلـــى الماريـــوت لتناول العشاء.. نحتسي مزيدا من البيـــرة، ونشـــاهد عرضـــا فنيا. أنتبه إلى امرأة تجالس رجلا إلى طاولة بجوارنا. ملابسها كاشفة بدرجة مبالغ فيها، كذلك ماكياجها وزينـــتها، وحديثها المبتذل الذي يصل بعضا منه إلى أذني. ألفت انتباه علي إليها.

" أنت تريد امرأة مثل هذه"

" هل هذا رأيك فيّ؟"

" لأاااا.. بهزّر معاك."

نعــود إلى البيت معا. وفي الطريق أمازحه، " كنت أظن أنك رجل مختلف. فأتضح أنك مثل كل الرجال، رجل يريد امرأة حلوة الملامــح، ضاحكة الوجه، ذكية في حدود أن تفهمه. امرأة تسمع الكلام، لا تناقش، لا تتذمر، خرساء إن أمكن. امرأة لا تغضب، لا تبكــي، ولا تضــحك بدون سبب. ولا تمرض. باختصار، امرأة آلية."

" بالضبط كده. والحمد لله انك عرفت اني مثل باقي الرجال."

تهدأ نفسي قليلا. أتبّع نصيحة جدتي بألا ألح على رؤية علي. أكتفـــي بالمكالمـــات التلفونية. وأقاوم جنوني، إلى أن يدعوني إلى العشـــاء. أتـــزين وأرتدي فستانا ورديا قصيرا وحذاء كعبه عالي. أمـــر علـــيه بالمكتب. يفتح الباب بود ورغبة في لقائي من جديد. جدتي التي تعدّت التسعين عاما عندها حق.

نـــتحدث في أمور عدة، وقبل أن ننزل يفتح علي درج مكتبه ويخرج منه مبلغا كبيرا من المال. يمد يده بالمال إليّ.

أسأله بمرح، " ايه ده... مكافأة نهاية الخدمة؟"

يضحك ويقول، " حاجة زي كدة."

ثم ينظر إليّ بحب، ويقول،" كنت عايز أشتري لك هدية، لكن لم أعرف ماذا أشتري، اشتريها انتي."

أشعر بالخجل وبالحرج.

دون أن أشـــير الى موضوع خطيبته، أمازحه، " بس يا علي انـــت هتسافر وتتجوز، وأنا هروح أتفسح بالفلوس واصاحب واحد تاني."

ينظـــر إلـــيّ نظـــرة من يعرف أني أعرف، ولا يُعلّق على موضوع جوازه، ويمازحني في الجزء الثاني،" وماله.. انبسطي "

" أيوة بس حاسة انه ما يصحش يعني أعرف واحد تاني على حسابك... مش شيء أخلاقي أوي.."

يضحك وهو يربت على كتفي،

" لا ما يهمكيش... بس صاحبي انتى واحد تاني"

" كدة... يعني عايز تخلص مني؟"

" أه.."

نضـــحك، ونحتضن بعضنا. أقبل الهدية وأضعها بحقيبتي. ثم ننزل لتناول العشاء متشابكي الأيدي.

أحكـــي لجدتـــي التطورات وأنا أقبّلها. أرى لمعة في عينيها المفتوحتـــين دائمـــا، لمعة حب وشقاوة الفتاة التي كانتها جدتي في يـــوم من الأيام. أشكرها على حكمتها التسعينية. تكررها ثانية، أن أصـــبر على شوقي وأنتظر إلى أن يطلبني هو. فأنتظر على أحر من الجمر كما يقول المثل.

يتصل علي. ورغم قدرته العالية في التحكم في مشاعره، إلا أن شـــوقه لي يفلت من لسانه بلغته. يدعوني للعشاء. أخبر جدتي. تضحك وربما غمزت بعينيها. " لا تضايقيه. خليكي مؤدبّة"، تقول بنبـــرة ودودة وآمرة في الوقت نفسه. " حاضر يا نينة." ثم تهمهم بالروســـية، " هي الحالة رجعت تاني ..." أحتضنها وأنا أضحك. وأنزل.

أذهـــب إلى المطعم مباشرة. المكان مزدحم للغاية. أبحث عن علـــي، أجـــده إلى طاولة صغيرة وسط العديد من الطاولات التي ازدحمت برواد نهاية الأسبوع. أجلس بجواره وأشاركه كأسه إلى أن يأتي النادل بطلبي. أرى اللهفة في عينيّ علي، فأزهو. يسألني عن سر تغيري. لا أستطيع إخفاء شيء عن علي. أخبره بنصيحة

جدتــي. يضحك طويلا، ويبدي إعجابه بذكائها. يسألني إن كانت حلــوة. " يــا علي دي فوق التسعين سنة." " وماله... مش ست." نضحك معا.

مع زجاجة البيرة الثالثة، تشتد رغبتي في دخول الحمام التي أؤجلهــا قــدر اســتطاعتي حتى لا أبتعد عن علي ولو للحظات. الطبــيعة تأمــر في النهاية فأستأذن علي. الحمام مشغول. وهناك طابور. أقف في الصف.

أعــود بعد دقائق وأقول لعلي أن الحمام كان مزدحما. ينظر إلــيّ نظرة غريبة. أستغرب، فيسألني بنبرة جافة، " أعطيتيه رقم تلفونك." أنظر إليه باستفهام،" هو مين ده؟" يشير بهدوء إلى رجل بــدين وأصــلع يجلس قبالتنا لكن إلى طاولة مجاورة، ولازدحام المكــان، يبدو وكأنه جالس معنا. لا أصدق ما يقوله علي وأعلّق ســاخرة، " أنــا أبــص لده." وأعتبر الموضوع منتهيا، لكن علي يستمر في الموضوع، " انتي ابتسمتي له." فأرد " أيوة ابتسمت له لأنــه جالس أمامي، تقريبا معنا.. عادي يعني." ثم أسأله بجدية ما الموضــوع، فيجــيب أن هذا الشخص اتبعني إلى الحمام ثم عاد يحكــي لرفاقه أنه كلمني وأخذ رقم تلفوني. أنفي، وأنا أنظر لهذا الرجل الذي ابتعد قليلا عن طاولتنا، " محصلش." ثم أمازح علي، " مــا كنــتش أعــرف انك بتغير." " أنا مبغيرش. لكن أنا بحترم نفسي، وإذا عايزة تمشي معه، اتفضلي."

أفاجأ بكلامه وبتفكيره.

" علي، انت بتتكلم جد واللا بتهزر؟"

" أنا بتكلم جد."

" وأنــا قلتلك الكلام ده محصلش. انت ازاي تفكر إني ممكن أعمل كده."

" يعني هو بيألف؟"

" أنا ما يهمنيش هو، أنا يهمني ازاي انت تشك فيّ أنا.. أنا.. وانت عارف إني ما بشوفش غيرك، حتى لو أمامي ألف رجل."

لا يقــول شــيئا. أنظر بغضب إلى ذلك الرجل، " الله يخرب بيته." ثم أمازح علي، " بزمتك ده منظر أفكر حتى أكلمه."

يأتي النادل بالعشاء. نأكل في صمت. يسألني إن كنت أرغب فــي المــزيد من البيرة. أسأله إن كان يحب هو. يطلب من النادل زجاجتين ستلا والحساب.

فــي البــيت، يــبدل ملابسه في صمت. أتودد إليه وأبدأ في مداعبــته، فيبتعد عني، ويشير بيده أن لا أقربه. أحتار ماذا أفعل، ولم كل هذا.

" في ايه يا علي؟"

" انت عارفة"

" علي، انت قصدك الموضوع بتاع البار؟"

" عين، أنا ماحبش حد يعمل حاجة من وراء ظهري."

" علي، أنا مش قادرة أصدق انك بتكلم جد."

أقترب منه، فيبعدني.

" علي، انت اتجننت.. ازاي تشك فيّ.. علي، دي اهانة ليّ"

" أنا ما أهنتكيش يا عين"

" لأ أهنتني... وأنا ما اقبلش الاهانة دي."

" انتي حرة"

" وانت قليل الأدب وسافل"

" أنا مش قليل الأدب، ومش سافل"

أترك البيت.

في الصباح الباكر، أذهب إلى مكتبه. يفتح لي الباب، ويرحب باقتضاب. لا أدخل. أرد له هديته من على الباب. يفتح فمه ليقول شيئا، لا أعطيه فرصة للكلام وأنزل.

أذهــب إلــى ســيناء. أتمدد على شاطئ مهجور وآخذ حمام شمس. تتصل بي عائشة وتخبرني أنني جرحت علي جرحا شديدا عندما رددت إليه هديته، وتخبرني أن خطيبته فعلت نفس الشيء ، وعندما حاولت أن تعود ثانية إلى علي، رفض وأنهى الموضوع. أخبــرها بمــا حــدث، تتفهم وجهة نظري، لكنها تعتب عليّ أني شــتمته. أنــا أيضا عاتبة على نفسي. لم أشتم علي من قبل، لكنه أهانني، ويجب أن يفهم ذلك.

بعد أيام، أتصل به. نتعاتب.

أعــود إلــى القاهرة . إلى مكتبه، برائحة البحر وملحه على جســدي البرونــزي. يســتقبلني بنظرة عاتبة. يفتح درج المكتب ويخرج الهدية، ويناولها لي.

" نفس المبلغ... ما فيش زيادة.."

" ما تستاهليش."

نــذهب لتــناول العشاء في مكان هادئ. ثم نذهب إلى البيت مبكرا. غدا يسافر إلى بلده. أجازته السنوية.

يسافر علي. وأتساءل أنا إلى متى سيتحملني، وإلى أي مدى.

لا أودعــه بالمطــار ولا أستقبله. يفاجئني قبل انتهاء عطلته السـنوية بأسـبوع بعودته إلى القاهرة. لا يخبرني عن سبب قطع أجازتـه، وأنــا لا ألــح. يسـتأنف عمله بالقاهرة وأبقى معه هذا الأسبوع بالبيت.

يخــرج صـباحا بعــد أن نشرب القهوة معا. يتصل بي من المكـتب بعـد انـتهاء العمــل ويسألني ان كنت أحتاج أي شيء ليحضــره معــه. أمضــي اليوم أرتب البيت، أنقل طرق تحضير أكلات مختلفة من الانترنت. وأتعلم الطهي في علي. يبدي اعجابه بالأكل ويشكرني. ثم يقول بمرح، " بس بكرة نطلب أكل من برة." أضــحك وأنــا أسأله، " انت عايز تقول ان الأكل وحش." يسرع بالنفي، "لا لا أنا ما قلتش كدة، بس ما فيش داعي تتعبي نفسك."..

فــي البيت، يراني علي في جميع حالاتي، متربة، مشعثة الشعر، متعبة، وحلوة في نهاية المطاف.

مشهد متأخر جدا. أقول لنفسي. كان ينبغي أن أعيش مع على في البيت لفترات متواصلة منذ البداية.

رغــم أني أتعامل مع البيت باعتباره بيتي، إلا أنني لم أستطع بعــد هذه السنوات أن أجد البقعة التي أستطيع أن أقول أنها المكان الخــاص بي في البيت. رغم وجود ثلاث غرف وثلاث صالات،

أبحـــث في كل ركن عن مكان يخصني، فلا أجد سوى الكنبة التي نجلـــس علـــيها أنـــا وعلي. أفتقد عشوائية غرفتي بمنزلي، كتبي وأشـــيائي الخاصـــة، وعروسة صغيرة مهترئة منذ أيام طفولتي. أحـــب البيت لأن علي يسكن فيه، لكنه ليس بيت علي أيضا. بيته هناك. في بلده.

نخرج أحيانا ونتعشى مع بعض الأصدقاء. ثم نعود الى البيت ونشرب نبيذا.

و في أحد المساءات، بعد أن أنهينا زجاجة نبيذ وصرنا أكثر رقـــة، تمددت في حضن علي، وسألته، " علي مش هتسيبني أبدا؟" جاوبنـــي بحب شديد وبصوت لا أعرف كيف أصف جماله، " أنا عمـــري ما هقولك لأ أبدا. انتي ما تعرفيش انتي ملأت حياتي قد ايه."

" صحيح يا علي؟"

" يعني انتي مش عارفة؟ مش عارفة انك استحوذت عليّ؟"

" طب ولو اتجوزت؟"

لا يـــرد على السؤال ويقول شيئا أجمل من أي إجابة محتملة على سؤال افتراضي.

" قد تكون العلاقة المؤقتة أكثر حقيقية من أي زواج."

"طيب، ليه هتتجوز؟"

" أنـــا مـــا قولتش اني هتجوز، ولو اتجوزت، ما قولتش اني هحب مرة تانية."

" علي أنا مستعدة أسيب كل حاجة هنا وآجي أعيش معك."

" صعب يا عين، صعب."

يضمني أكثر إلى صدره، ويشبك ذراعيه حولي. وننام على الكنبة. متلاحمين.

لا نلتقي لأسابيع. اجتماعات تحضيرية، مؤتمر قمة عربية، ونحن في القاع تماما، قمم طارئة، وكأننا نفاجأ بالأحداث التي نشارك في صنعها. ومع كل هذه الطوارئ تحط الضيوف الطارئة على بيت علي. عبث سياسي متواصل. نتواصل عبر الهاتف، لكني لا أشبع. أريد أن أراه، أن ألمسه، أن أستنشقه. يعتذر.

في الأوقات الصعبة والأزمات الكبرى، حين لا يكون باستطاعتنا فعل شيء سوى الرثاء، ربما أن نكون معا يصبح فعلا إيجابيا، أن أكون معه يطمئنني، أن يكون معي لا يعني الكثير، فالأزمات أكبر منا ويصبح وجودنا معا- من وجهة نظره- عبئا إضافيا!

و الأوقات الصعبة والأزمات الكبرى تزداد يوما بعد يوم.

ماذا بوسعي أن أفعل؟

صرت أتمنى لقاءه وأتخيل رفضه كي تخفت رغبتي ولا يفاجئني الإحباط ومع كل الاستعدادات النفسية للدفاع عندما يرفض رغبتي لا شيء من تلك الاحتياطيات يفيد وتبدأ نوبة اكتئاب أخرى.

يدعونـــي علـــي إلى العشاء. يأتي برفقة السيد بشير، صديقه ورئيســـه في العمل، وعائشة. أثناء العشاء، تتشاجر عائشة والسيد بشير وينتهي الأمر ببكاء عائشة، وهي نادرا ما تبكي. قصة حب شائكة تنمو على المرارة. يحاول علي تهدئة عائشة، إلا أنها تترك الطاولـــة وتغادر المطعم. الجو المتوتر يفزعني عادة، خاصة إذا تعلّـــق الأمر بالمشاعر. رغم رغبتي في البقاء مع علي، إلا أنني أفكـــر أنـــه ربمـــا من الأفضل أن أغادر أنا الأخرى وأتركه مع صـــديقه. لكن علي يستبقيني إلى أن نغادر جميعا إلى بيته. أفاجأ. فعلي لا يأخذني إلى بيته أبدا في وجود ضيوف. أفرح.

فـــي البـــيت، نحتســـي مزيدا من الويسكي. وأنتظر أن يأتي الويسكي بمفعول ايجابي ثم أعاتب صديق علي لأنه أبكى عائشة. المفعول سلبي. يغضب ويسبنا جميعا بطريقة بدت لي هزلية. رغم دهشـــتي لرد فعل السيد بشير، إلا أنني أضحك للطريقة التي سبّنا بهـــا، وعلي أيضا يضحك. يخرج السيد بشير من الغرفة، ويعود بزجاجة أخرى. أدير شريط موسيقى كلاسيكية لتهدئة الجو. أترك الســـيد لشأنه وكأسه، وأجلس على ساق علي وأتدلل عليه. أعاتبه لغـــيابه عنـــي، فيعتذر بضرورات العمل والظروف. أهدده بنبرة مازحـــة بأننـــي سأتركه وأعرف غيره، فيرد بهدوء وبما بدا لي لامبالاة، بأنني حرة. في ثانية واحدة، وربما أقل، أنتفض من على

ســـاقه وألعنه هو والحب والعلاقة. يصدر السيد صوتا. أنتبه إلى وجوده. أنظر إلى علي. أدرك فداحة ما فعلت. لن يسامحني علي أبـــدا. " علي أنا آ..." لا تخرج كلمة آسفة من فمي. صارت كلمة بـــلا معنـــى. يتركنا السيد بشير ويذهب إلى غرفته. أري الغضب والـــندم فـــي عيني علي، لكنه لا يتفوه بكلمة. يسحب الغطاء عليه ويغلـــق عينيه. أقف معلقة لدقائق لا أعرف ماذا أفعل. ثم تقودني قدماي إلى الغرفة الأخرى.

لم يبد حماسا غير متوقع
حين اقترحت قضاء أمسية الغد معه بعد انفصال دام أسابيع.
" ستنامين في الغرفة الأخرى.."
أكره اللقاءات المشروطة.
سكتُ.
" أنا واضح." قال.
" ليس تماما"
" بل أنا واضح تماما" .
" على السطح فقط"
صمت..
انقطع الكلام على وعد بلقاء..
لقاء غير محسوم. يزداد خوفي. سيكون لقاء متوترا.
أتـــراجع بينـــي وبين نفسي. أتخيل ردود أفعال مختلفة تنتهي كلها نفس النهاية. بكاء، خصام، قطيعة وتوتر لا ينتهي.
أظل الليل كله أحاول تخيل إمكانية واحدة مضيئة.
تهتز ثقتي برؤيتي.. ربما هو مصيب..
ربما من الأفضل ألا نلتقي ثانية..
هو عائد إلى بلده، إلى حياته التي لم يكن لي وجود بها ولـــن يكـــون. هكذا حسم. لكن قلبي يحدثني بأن الحسم غير نهائي. لم أعد متأكدة من شيء سوى أنه الرجل الذي سأعشقه في

كـــل مرة أقابله، فينصحني بألا أقابله. أكتشف أني أحب أن أحبه. أخشى اللقاء فأفكر في الاعتذار.

ربمـــا يتســـاءل لـــم وقد كنت مصرة وربما يتنفس الصعداء ويشكر تقديري للموقف وربما كان سيعتذر هو بانشغاله فأشكر له إعفائي من تكرار محاولة غير مضمونة العواقب.

لا يعجبني ترددي.

أقرر الذهاب إلى الموعد وليحدث ما يحدث.

لكنني لا أحب أن أكون مثقلة بكل هذه " الربمات" .

أريد لقاءه لأحبه وأدلله وأتدلل عليه

أريد أن نطرب سويا ل "رق الحبيب"

أريد أن ألف نفسي في ملاءة قصيرة وأرقص له

رقصة كارمن الشهيرة... له وحده....

يثقل قلبي، وتتكثف الهواجس.

أشرب فنجانا من القهوة في الصباح

أقلب الفنجان وأتأمل علاماته.

مغلق.

أهاتفه. يرد صوت مغلق.

تتقلص أشياء بداخلي.

" إذا جئت سنشرب قهوة وتذهبين إلى بيتك "

أصمت.

ينتظر ردي..

أعتذر عن اللقاء.

ثم نلتقي.
نجلس لساعات طوال في نفس المكان
نشرب بيرة و ننفث دخانا
ننظر في كل الاتجاهات إلا اتجاهنا
أراه دون أن أراه
يراني دون أن يراني
نتقابل دون أن نتواصل
أشقى بأملي
أسأله هل سنفترق
لا ينفي و لا يؤكد
أستنطق عينيه
مستغلقة
أطلب ورقة و قلما من النادل و أكتب
" أولى بهذا القلب أن يخفق"
أمررها له
يقرؤها ببطء ثم يطويها بعناية
و يضعها في جيب قميصه.
نستأنف الصمت.

تدعونا عائشة لحفل عيد ميلادها. أذهب من بيتي، وعلي يأتي من بيته. وفي الحفل نلتقي بالعديد من الأصدقاء المشتركين، وآخرين لا أعرفهم أنا. ومن بين نساء الحفل العديدات، أنفر من واحدة بعينها، من بلد علي. نحافتها زائدة، حركاتها ميكانيكية، خطواتها محسوبة، ضحكاتها منمقة. مسلحة بكل أسلحة الصيد الأنثوية، وفي حالة تأهب محسوب للانقضاض على الفريسة. مانيكان ملونة في فاترينة عرض، زينها صاحب المحل ببضائع شتى، غير متناسقة، لكن لها سعر. ألمحها تحاول الرقص، لكنها تبدو وكأنها تقفز كضفدعة.

رغم البهجة التي سيطرت على المكان، ينقبض صدري. يستولي عليّ شعور مبهم بأن هناك شيئا ما يدور حولي، من وراء ظهري. أنغلق على نفسي في دائرة رقصي. أرقص كالمحمومة على لحن لا يسمعه غيري دون توقف. سكرانة، جائعة، نهمة، ومنهكة. يطلب مني علي أن أتوقف عن الرقص. لا أتوقف. يذهب الجميع إلى البوفيه، وأظل أنا في دائرتي المحمومة. يأتيني بطبق عليه أصناف شهية من الطعام. أهز رأسي نفيا، وأنظر في عينيه، "في حاجة غلط يا علي... في حاجة غلط بتحصل." " عين، انت سكرتي، كلي حاجة." أرفض الأكل وأظل أرقص حتى الصباح، إلى أن تغادر تلك المرأة الحفل، ويخلو المكان إلا

مـــن علي وعائشة التي دخلت غرفتها لتنام. علي يحاول الاقتراب مني. أبتعد وأنا أترنح. لكني لا أسقط.

يسألني ماذا أصابني.

أصابني العشق.

لم أحبك، عشقتك

و أنت لا تعرف العشق

العشق متطلب، ولا يكتفي

كيف الوصول إلى المعشوق

لا وصول

هناك محاولات ومحاولات

وصل لكن دونما وصول

العشق هو محاولة التوحد مع المعشوق

مع الله، مع الذات العليا

من وصل إلى الله. لا أحد

أنت ذاتي العليا

من يصلك، من يحاول الوصول إليك

أنا

أنا معشوقتك التي تحاول، ولا تريد

إذ بمجرد الوصول انتهى العشق

أنت منتهاي، بالطريق

و يجب أن يكون الطريق وعر

و إلا فلم المحاولة

لكن الله لا يهرب من العشق

الله لا يهرب من المعشوق

الله كلّم موسى، وأرى الطريق لمحمد

و أوصله لسدرة المنتهى.

أستيقظ في بيت علي. ذراعه تمتد على بطني.

لا أشـــعر بـــذنب، أو ألم، أو خوف من فقدانه. أشعر براحة عميقة تنبع من داخلي. وأفكر في نفسي. لم يعد يهمني غضبه، أو زعله، أو قراره بألا يراني مجددا. أنا التي تهمني. أشعر بهدوء لم أشعر به من قبل. لم أعد أحتاجه. أكتفي بذاتي.

ألتفت إليه وهو نائم. لم يعد رجلي. صار شخصا غريبا عليّ. أرفع ذراعه بحرص، وأنهض.

أمشي.

4

علـــى ضـــوء كشاف صغير تقرأ عين كتاب الفراشة لهنري شارييير طوال الطريق إلى جنوب سيناء. هذا هو السلوك البشري عاريا تماما تحت ميكروسكوب السجن. الجريمة كامنة في النفس البشـــرية. هكذا تخلص عين بعد أن تنتهي من قراءة الكتاب الذي أغـــرمت بـــه رغم بشاعة بغض المشاهد. لكنها بطريقة ما تتفهم عـــالم الإجـــرام، بـــل تجـــده أكثر إمتاعا وإغراء من عالم القيم والأخـــلاق الحميدة، والسلوك الراقي المصطنع. تغفو وهي تتأمل ســـلوك هؤلاء الخارجين عن نواميس المجتمع. تحلم بمولد القمر الجديـــد وتبتسم وهي غافية في حلمها. تفيق من الحلم فجرا وهي فـــي مـــدخل دهب. يستقبلها هواء البحر حاملا رائحة اليود التي تعشـــقها. تنظر إلى السماء، ولا تصدق عينيها. لقد حلمت به للتو. الهلال الوليد. ترسل له قبلة مع ريح البحر. تتفاءل ببدايات جديدة. وتنتظر مفاجآت الحياة.

تـــذهب إلـــى مخـــيم قمـــر الصحراء المواجه للبحر وتسجل بياناتها. تضع أغراضها في الخيمة وتغير ملابسها. تفكر بأن مياه البحر ما تزال دافئة. تسبح باتجاه الشرق إلى أن تتقابل مع الشمس

الصاعدة على مهل من خلف الجبال المطلة على البحر من الضفة الأخرى. ترحب بالشمس وتصلي لها على طريقتها الخاصة.

تعـود إلى خيمتها، وتستلقي على الفراش الأرضي. تستدعي لحظة ميلاد القمر التي حضرتها في المنام وتحتضنها إلى أن تنام.

تسـتيقظ بعـد الظهر جائعة. تطلب الغداء من أحد العاملين بالمخـيم وتجلـس علـى الشاطئ. مركب صغير يأتي من البحر ويرسـو أمامهـا. يقفـز شخصان، أحدهما بدوي، والآخر أجنبي شـعره طـويل جـدا، بني ومتموج. كل من يراه يشهق من فرط وسامته. تتسمّر عين في مكانها. يقترب منها الشاب بسمكة كبيرة، " عايزة سمك؟" ترد كالمنومة،" لا شكرا."

يختفـي الشاب ولا يظهر إلا وعين تنتهي من طعامها. يحط علـى مائـدتها كصـقر جائع بدون استئذان. " عايزة المتبقي من الطعـام؟" تهـز رأسها نفيا. لوهلة اعتقدت أنه ربما يعمل بالمخيم وسـيرفع الأطباق عن المائدة، لكنه يجلس ويأتي على ما تبقي في الأطباق بنهم. ثم " شكرا." وينصرف. تتابعه عين باستغراب وهو يبـتعد. تسأل مدير المخيم، " من هذا؟" يرد ضاحكا، " هذا أبوللو، مـن كورسـيكا." ويضـيف، " هو غريب شوية بس طيب ومش مؤذي." تسأله هل يقيم في المخيم، يومئ المدير برأسه، ويضيف، " لكـن لـيس لـه خـيمة، ينام على البحر." تسأله عين وقد زاد فضولها، " وماذا يعمل هذا الكورسيكي؟" يهز المدير كتفيه ويقول أنـه لا يعـرف لـه عملا محددا، لكنه يقوم أحيانا بتصليح سباكة الحمامات مقابل الأكل والنوم.

في المساء تذهب إلى بار قريب برفقة بعض الصديقات. تلمح الكورسـيكي بالقرب من المشرب، وتتجاهله. تجلس مع صديقاتها إلى طاولة قريبة منه، وتتابعه خلسة. هو أيضا يتجاهلها عن عمد، لكن عيناه على طاولتها. بعد قليل تذهب إلى المشرب وتتحدث مع النادل الذي تعرفه من قبل. وقبل أن تعود إلى طاولتها، يستوقفها الكورسـيكي، " ممكن أطلب منك خدمة؟" ممكن، ترد عليه وهي تهز كتفيها. " قولي للفتاة الطويلة التي تجلس معك أنني الرجل الذي تبحث عنه منذ خلقت." تنظر عين إليه وتقول لنفسها هذا الرجل مجنون. لكنها تبلغ الرسالة إلى صديقتها. " قولي له أنه أقبح رجل رأيته في حياتي، وأنه يثير الغثيان." تعود عين إلى الكورسيكي، يسألها ماذا قالت صديقتها. قالت أنها مرتبطة، وتبتسم له. تدعوه إلى زجاجة بيرة لكنه يرفض ويغادر البار. تعود عين إلى صديقاتها ويتحدثن عن هذا الغريب. تحكي لهن ما فعل معها أثناء تناولها الغداء. يحكين لها أنهن يشاهدنه أحيانا وهو يسرح بالماعز ويلتقط التمر الساقط من النخيل على الشاطئ. ولا أحد يعرف عنه شيئا تقريبا. لكنه وسيم جدا، تقول عين وهي ساهمة. تضحك الصديقات وهن يقرأن لمعة المغامرة في عيني عين. ويسألنها ما الخطة. تجيب عين بجدية أنها لا تعرف بعد، فهو نوع جديد عليها. عليها أن تفكر جيدا قبل أن تتحرك. لكنها فرحة أن صديقتها ليست معجبة به على الإطلاق. إذ لا تحب عين أن تدخل في منافسة مع صديقتها من أجل رجل. الرجال خنازير، لا يستحقون التنافس عليهم. هذا رأي الصديقات منذ سنوات. لكن

عـين كانـت تقـول لهم أن علي مختلف، وأنه رجل محترم. كن يضحكن عليها، " لنرى إلى متى سيظل هذا رأيك فيه." برغم كل شيء، لا تزال عين تقدّر علي وتحترمه.

تعـود عـين إلـى المخـيم بعد انقضاء سهرتها. تتعثر في الكورسـيكي ملـتحفا مـنامة مهتـرئة في مدخل المخيم. يستيقظ مذعورا، " مش تبصي تحت رجلك." تشيط عين من وقاحته، " في حـد يـنام في المدخل والدنيا عتمة، انت مجنون." يبدأ شجار في اللـيل المتأخـر لا ينهـيه إلا تدخل مدير المخيم الذي يطلب من الكورسـيكي إمـا أن يـنام على الشاطئ أو يستأجر خيمة. يلملم الكورسـيكي منامـته القديمـة ويجرجر نفسه إلى الشاطئ، وهو يبـرطم بلغـته الكورسـيكية التي لا يفهمها أحد وإن كانت ألفاظ السباب التي تميزها الأذن في أي لغة واضحة.

تـدخل عين إلى خيمتها وتغلقها جيدا. تنام وابتسامة عريضة جدا على وجهها. بدأت المغامرة.

قبل غروب اليوم التالي، يظهر الكورسيكي بشعره الطويل المتموج. عين تتابع الغروب وتنتظر أن يبادر أبوللو بالتحدث إليها. لا يخيب ظنها. يذهب إليها على الشاطئ ويطلب منها قبول دعوته للعشاء. تضحك عين ضحكة ساخرة، " كيف ستدعوني وأنت تشحت الطعام من الزبائن." يرمقها بنظرة حادة، " هذا ليس شأنك." ترفض دعوته بتعال. يمشي، ويعود في اليوم التالي في نفس الوقت، ويكرر دعوته، وترفض عين. في اليوم الثالث، تقبل دعوته شرط أن تدفع حسابها، لا يمانع. تسأله أي ساعة، يقول الآن. تنظر إلى هيئته، " هل ستذهب بهذا الشورت والشبشب البلاستيك؟" ينظر إلى نفسه ولا يرى غرابة في شكله، " لم لا.. بالإضافة، لا أملك غيرهما." باحثة اجتماعية تخرج مع متسول!

يذهبان إلى مطعم على الشاطئ. يرحب به الجميع" ازيك يا كورسيكي." تطلب عين سمكا، ويطلب هو دجاجا. " أحب أن أصطاد السمك، لكني لا أحب أن آكله." يقول دون أن تطلب منه عين تفسيراً، فتتجاهل تعليقه. يأكلان في صمت. ثم تدفع عين حسابها، والكورسيكي يشكر صاحب المطعم على حسن ضيافته. تكاد عين أن تنفجر من فرط الفضول، لكنها تدرب نفسها على التحكم في تصرفاتها. في الطريق إلى البار الذي تقابلا فيه منذ ثلاث ليال، يبدي الكورسيكي إعجابه باستقلاليتها، فتبدي عين

استغرابها من استهباله. يدّعي الغضب، ويصيح، " هل تعتقدين أنني آكل وأشرب ببلاش.. بالطبع لا. أنا أشتغل وأقدم خدمات." تأمره عين بأن يخفض صوته. يصلان إلى البار ويطلبان زجاجتي بيرة. ثم يشرح لها مرضه. " أعتقد أنه مرض نفسي، أصابني منذ عامين. لا أستطيع أن أمسك نقودا في يدي، أو أحملها في جيبي. لا أستطيع التعامل بالمال. لذلك أقوم بأعمال مختلفة وأتناول أجري في صورة أكل وشرب ومكان أنام به. وعندي صديق يضع لي باقي مستحقاتي في باطن سمكة قرش مجففة." عين تستمع بانبهار تحاول إخفاءه عن عيني أبوللو الحادتين.

يسألها فجأة عن شغلها، فترد بأنها باحثة اجتماعية متفرغة، أي أنها تقوم بأبحاث ميدانية عندما تطلب منها أي جهة أو منظمة ذلك. يسألها وما البحث الذي تعمل عليه الآن، فتجيب بأنها حاليا ليس لديها موضوع معين، وإن كانت تفكر بعالم الجريمة. هنا يصيح الكورسيكي بفرحة وهو يفتح ذراعيه. " لا أصدق حظي، كنت أشعر أنني سأجد من يدرس حالتي." تنظر عين إليه باستفهام. " سأحكي لك شيئا لم أحكه لأحد هنا. أشعر أني أستطيع أن أثق بك."

و يبدأ في سرد تاريخه وتاريخ عائلته الإجرامي حتى الصباح.

ينحبس الهواء في صدر عين وهي تستمع لحكايات عن تجارة مخدرات، ودعارة، وقتل، عن أجداد وأبناء وأحفاد عاشوا في السجون أو ولدوا بها . تسأل نفسها ماذا تفعل مع هذا المجرم.

يــذهب إلى الحمام، فينطلق الهواء المحبوس في صدرها لأمتار. تفكر أن تغادر بسرعة قبل أن يعود، لكن شيئا ما يبقيها جالسة في مكانهــا. تعــرف بعقلها أن هذا الشخص قد يكون خطرا. مش قد يكون، ده أكيد. تقول لنفسها. تعرف بحاستها الخاصة أنها منجذبة إليه انجذاب الحديد إلى المغناطيس. تقرر الهرب سريعا، لكنها لا تتحرك. ويعود الكورسيكي إلى الطاولة بزجاجتي بيرة.

يسألها أبوللو عن تفسيرها الاجتماعي لهذا التاريخ. تقول عين أنهــا اعتقدت في الأول أنه يختلق حكايات، فاقت خرافية بعضها حــد الخــيال. لكنها عادت وفكرت بأن لا أحد يفتخر بهذه الكمية والكيفــية مــن الإجرام. تسكت قليلا ثم تضيف بصوت منخفض وكأنها تحدث نفسها، " ده جين وراثي، فيروس في العائلة."

ودون أية مقدمات تُقبله في فمه.

يندهش. لكنه يبدو ممتنا لها. قبلته ولم تنفر من تاريخه. قبلته كما هو. لم تحكم عليه أو تحاكمه.

كـــان الـــوقت فجـــرا عندما سألها أين تحب أن تشاهد طلوع الشـــمس. أشارت بيدها إلى منطقة قبر البنت على البحر. يتمشيان على الشاطئ بضعة كيلومترات، وفي الطريق تتأبط ذراعه فينفر مـــن جانبها وكأن عقرب لدغته. " لا تمسكيني من ذراعي هكذا، تذكرينني بالســـجن." تعتذر. لم تقصد. تتردد ثم تسأله كيف كان الســـجن. فيخبـــرها بمـــرح أن الـــثلاث ســـنوات الأولـــى كانت ممـــتعة حـــيث كـــان السجن ممتلئا بأصدقائه من تجار المخدرات الكولومبيين الأثرياء. حشيش وخمر وعزف على الجيتار ورقص. السبع سنوات التالية كانت سبعا عجافا. تفرق الأصدقاء في سجون مختلفة. حاول الهرب عدة مرات وفشل، وزادت مدة عقوبته.

يصلان إلى منطقة الغطس النائية. يخلعان ملابسهما ويسبحان فـــي البحـــر علـــى ضوء هلال كبير يترك السماء لشمس تستعد للشـــروق. ثـــم يستلقيان على الرمل ويتطلعان إلى السماء. بهدوء يقلبها على بطنها ثم يرفعها قليلا لتكون في وضع السجود. تتركه عـــين يحـــركها ويعدل من وضعها كيفما يشاء. يدخل عضوه في مؤخـــرتها تدريجيا وبمهارة جعلتها لا تشعر بأي ألم. ثم بدأ يتلوّى بداخلها، يضغط ويتمدد ويضغط. شعرت عين بمتعة غير عادية لم تشـــعر بهـــا مـــن قبل، إلى أن لامس نقطة ما بداخلها وبدأ يزيد ضـــغطه، فانفلتت منها " آه " بصوت بدا لها صوت شخص آخر.

حاولت عين أن تتجاهل تلك النقطة وتركز في المتعة فقط. يزيد ضغطه وتمدده في عمقها بهدوء، ويلامس نقطتها مرة بعد المرة فتصرخ فيه، " توقف" لكنه يستمر، فتأمره ثانية أن يتوقف. يواصل ضغطه فتدفعه عنها بقوة غريبة عليها. " ماذا حدث؟ هل آلمتك؟" يسألها عندما يراها تحاول كتم صوتها وعيناها مشدوهتان أو ربما فزعتان.

عندما نظرت إليه رأت الشيطان الذي بداخلها في عينيه. ورأى هو الفزع في عينيها. وأدركت بحدسها أن هذا هو الرجل الذي يمكن أن يقتلها. لم ترد على سؤاله ولم يلح هو. سارا صامتين إلى أن وصلا المخيم. دخلت عين خيمتها وأغلقتها جيدا دون أن تقول أية كلمة للكورسيكي الذي وقف حائرا لا يدري ماذا يفعل في تلك الساعة المبكرة من الصباح.

تضع الوسادة على فمها وتطلق جزءا آخر من ألمها بهدوء. هذا الكورسيكي جاوز منطقة ألمها وعبر حدودها. ألم تاريخي ورثته من حيوات سابقة، تعيش به وينمو بها. لا تعلم مصدره بالضبط، لكنها تعرف أنه ملتصق بروحها. وتعرف أيضا أنه مرتبط بعلي. طوال علاقتها بعلي لم تشعر أبدا بهذا الألم. وكأنه داواها منه دون أن تدرك وجوده. لعلي أسلمت روحها راضية ولم تخف أبدا. أما هذا الكورسيكي فسيقبض على روحها يوما ما إذا غفت عن نفسها. تريد أن تتصل بعلي. تريد أن تحتمي به. لكنها

لا تعرف ماذا ستقول له. لا تعرف كيف سيستقبل اتصالها. تطلب رقمه وتغلق الخط قبل أن يتم الاتصال ويرى رقمها.

تبكـــي عـــين. وتخاف من نفسها لأنها تعرف أنها تخاف من الكورســـيكي وتـــرغبه. ولن تقوى على الابتعاد في كل مرة تلملم أغراضها لتهرب.

يختفي أبوللو لمدة أسبوع.. تشغل عين نفسها بالتعرف على عادات بدو سيناء ومحاولة كتابة خطة بحث. لكن ذهنها مشتت وعيناها تتجولان بحثا عن ذلك الكورسيكي. تتمنى عين أن يختفي إلى الأبد. لكنها في قرارة نفسها تنتظر ظهوره المباغت الذي يحرك زوابع من الإثارة والدهشة.

تجلس على الشاطئ وكتاب بجانبها. تلمح شعر أبوللو يتطاير في عرض البحر. تشعر بشيء يسقط في معدتها ورغما عنها تكتم نفسها. تمسك الكتاب وتتصنع القراءة. يرسو القارب قبالتها ويصيح الكورسيكي بطريقته الاستعراضية، " هيا، سآخذك إلى مكان جميل اكتشفته أمس." يحدثها وكأنه يستأنف حوارا انقطع من خمس دقائق. تدعي أنها مشغولة. " أنت كاذبة، أنت تنتظرينني منذ أسبوع. هيا." كيف عرف. يقرأ رغبتها وحيرتها. " هيا، سيكتمل القمر اليوم، لا تضيعي الوقت." تنهض من مكانها. يقفز إلى القارب ويمد لها يده. تصعد. تجد مرآة كبيرة وحقيبة ظهر ومعلبات. تسأل أبوللو عن المرآة، " ستعرفين فيما بعد." ينطلق القارب رغم الريح المعاكسة. يعود المرح إلى عين مع رذاذ الموج الذي يبللها. تقف على مقدمة القارب وتفرد ذراعيها لتلقي الموج. يقف أبوللو خلفها ويفتح هو الآخر ذراعيه ويعلن، " تيتانيك." تضحك عين ضحكة عالية ثم تقول، " أنا لا أريد أن

أغــرق في البحر ويلتهم السمك جسدي." يقبلها الكورسيكي، " لا تخافــي، لــن تكونـــي بمفــردك، سنكون معا." وهذا بالضبط ما يرعبها. أن يكونا معا.

يصـــلان إلـــى شاطئ صخري وبيت مهجور كانت عين قد ســمعت عـــنه مــن قبل. بضع أشجار من النخيل تظلل بقعة من الأرض الحصوية. يسألها أبوللو إن كانت رأت المنزل سابقا. تهز رأســها نفــيا. البيت به أشباح أصحابه. لا يستطيع أحد شراءه أو بيعه أو هدمه وإعادة بنائه، حتى الحكومة. لا يعرف أحد بالضبط تاريخـــه، لكن الكثيرون يرددون حكايات الأشخاص الذين حاولوا الاســتيلاء على البيت. " هل ترين هذا الحائط الحجري المتهدم؟" يشـــير أبوللو إلى حائط شرقي. تنظر عين باتجاه الحائط. " الرجل الـــذي حاول تكسير الحجر أصيب بالشلل المفاجئ. والرجل الذي أراد أن يســكن بالبيت دون إذن من أشباح أصحاب البيت أصابته أمـــراض عديدة لم يعرف لها سبب سوى غضب الأشباح." تشعر عـــين بالإثـــارة والقلق، وتسأل أبوللو لم أتى بها إلى هذا المكان المـــوحش. " لقـــد نمت هنا بالأمس، وزارني شبح صاحب البيت وطلـــب مني أن أجد المفتاح المفقود. عندئذ سيكون البيت لي." يا سلام!! لكن أبواب البيت مفتوحة، ما الحاجة إلى المفتاح. من يجد المفـــتاح يصبح صاحب البيت بمباركة الأشباح، ولن يضايقه أحد. يشرح لها الكورسيكي وهما يتجولان بالبيت الحجري المطل على البحر مباشرة.

تتمدد عين في لباس البحر على البقعة المظللة وتتخيل نفسها وهي تبحث بهمة عن المفتاح وهي تتصبب عرقا إلى أن تجده على بعد أمتار تحت الأرض. هذا المكان سيصبح لها. يأتي الكورسيكي بالمرآة وحقيبته والمعلبات من القارب، ثم يرش عليها ماء البحر لتفيق من تخيلاتها التي أدرك مضمونها، " البيت لي، وليس لك." ترد عليه من وسط الحجرة المطلة على البحر التي قررت أنها ستكون غرفة نومها، " البيت لمن سيجد المفتاح." يخرج زجاجة ويسكي مصري صغيرة من جيب حقيبته. يأخذ رشفة كبيرة ويناول الزجاجة إلى عين. ويستلقي بجانبها.

تنتظر أن يداعبها. لا يفعل. فتداعبه بأطراف أصابعها فيزيح يدها بعنف. تنزعج عين. " هل هذا ما تريدين؟ مداعبات ثم جنس ثم أورجازم؟ أنا أعطيك شيئا أفضل." تتنهد عين وهي تعرف أنه محق. هو يأخذها إلى أبعد من النشوة العادية. يأخذها إلى الألم ويحرر الجزء الذي تسمح به. تعرف أنه يعطيها من نفسه، وأنها تمنحه متعة تحريرها من الألم. لكنها في الحقيقة لا تمنح شيئا. هو الذي يأخذ منها ذلك. لكنه أيضا لا يستطيع الأخذ إذا لم تسمح له. هي التي تملك القوة وليس هو. هي من تدخله رجلا وتخرجه طفلا.

يطلب منها بنبرة آمرة أن تخلع لباسها وتتخذ وضع السجود.

تدعه يتوغل إلى داخل روحها. وتحرر جزءا أكبر من الألم المتراكم. ثم تصرخ بقوة الدفاع عن النفس وقت الخطر عندما

يحاول الاستحواذ عليها، وتدفعه بعيدا عنها. " لن أسلم لك روحي أبدا. أبدا." وتدع دموعها تتساقط بغزارة وحرية.

يتـــناول مزيدا من الويسكي ثم يبتعد عنها إلى أن تهدأ. تبحث عين عن ورقة وقلم بحقيبته. تريد أن تسجل ما يحدث لها. تحاول قراءة مشاعرها وانفعالاتها. لكنها لا تعرف من أين تبدأ. من الألم السـابق علـى وجودها أم من السعادة المطلقة التي فقدتها عندما خرجت من بين ذراعي علي. هل يشبه ذلك ألم آدم وحواء عندما طـردا مـن الجنة. هل ورثنا جميعا هذا الألم الحارق للروح، أم تكـثف في روحي أنا. ومن هذا الكورسيكي؟ تضع الورقة جانبا. تتناول بضعة رشفات من الويسكي وتتهيأ لطلوع القمر.

يطلــع على مهل، على استحياء، حاملا وجه علي. لا تصدق مـا تـرى. هـو بعينيه وأنفه الملووح وشفتيه المزمومتين بقوة. يـراقبها بقلـق لكـن دونمـا غضب. تتطلع إليه بنظرة بها اتهام غامض، وتكتب:

مثل القمر
لا ينتظر أن ينتظر أحد قدومه
و مثل القمر
لا ينبئ عن ظهوره أو يمهد له.
خلسة، إن لم تكن منتبها، يرتفع رويدا
دونما استعراض أو مقدمات
من خلف الجبال الوردية على الضفة الأخرى للبحر
قرص برتقالي مائل للحمرة

يمهد طريقا برتقاليا مائل للحمرة يقطع العتمة
يغازل أطراف قدميَ على الحافة
و يدعوني دون دعوة للعبور
ألقي بنفسي في الطريق مسحورة
هو يعلو وأنا أسبح
و عند منتصف الطريق يسحب ضوءه
فتتقطع أنفاسي وأتخبط
و مثل القمر هو كوكب معتم
لا ينير إلا بانعكاس الشمس عليه
فيعكس نورها بدوره
لكنه في الأصل معتم
والشمس في العربية مؤنث والقمر مذكر.

تداعب شمس الصباح كل منهما على حدة، فيستيقظان تباعا. يتحممان في البحر ثم يتناولان الفطور من المعلبات التي أحضرها أبوللو. يبدأ الكورسيكي ثرثرته فتتجاهله عين. لم تستيقظ كلية بعد ولا تحب النقاش في الصباح. يشعل أبوللو بعض الحطب الجاف ويعد الشاي.

يأتي بالمرآة ويسندها إلى جذع نخلة. تراقبه عين وهو يفتح حقيبته ويخرج منها كيسا بلاستيكيا. ينظر الكورسيكي إليها ويسألها إن كانت مستعدة. تنظر إليه مستفهمة، " مستعدة لايه؟" يرد عليها بجدية، " لأن تكتملي." تهزأ منه، " شايفني ناقصة ايد ولا رجل." يتجاهل سخريتها ويفتح الكيس ويخرج ما بداخله. تشهق عين، " إيه ده؟"

ينزع عنها لباسها ويوقفها أمام المرآة. " أغمضي عينيك." يربط ما أخرجه من الكيس حول وسطها ويثبته جيدا بمشبكين. " أنظري لنفسك الآن." تفتح عينيها وتنظر. تفزع لأول وهلة وهي تبحلق أمام نفسها. ثم تضحك. وتهز العضو البلاستيك المنتصب بين رجليها. ثم يعجبها شكلها، وتدلك العضو الذكري الضخم الملتصق بعضوها الأنثوي. " أنت الآن أجديستيس." تلتفت إليه وهي لا تزال ممسكة بعضوها المنتصب وتسأله " أجديستيس مين؟" فيخبرها عن بنت زيوس إله السماء والأم الأرض التي

ولدت مكتملة بأعضاء الذكورة والأنوثة، وكيف ارتعبت الآلهة من قـوة أجديسـتيس المضاعفة، فأخصوها. تصدر عن عين تنهيدة عالـية وهي تشعر بنقمة على تلك الآلهة الحمقاء التي حرمتها من عضـوها الآخـر. تقفـز أمام المرآة وتنظر إلى حركة عضوها المتقافزة أمامها، وتعلو ضحكتها. يقف الكورسيكي بجانبها ويدلك الاثنان عضويهما أمام المرآة وهما يتضاحكان.

"الآن دورك." تـتطلع إليه باستفهام متبلد. يتخذ وضع السجود ويطلب منها أن تدخل مؤخرته. تفزع عين. " هيا سأرشدك." تهز رأسها بحيرة، ولا تعرف بماذا ترد عليه. يستدير إليها، " ماذا بك؟ أليس لك عضو الآن؟ استخدميه."

" أبوللو، هل أنت...؟"

" لا، لكـن لـيس لدي سوى هذه الفتحة. لست امرأة. وأنت لست رجلا.هيا."

يعود إلى وضعية السجود ويرشدها إلى كيفية إدخال عضوها البلاستيكي بحيث لا تجرحه. تبلع عين ريقها بصعوبة وهي تنظر إلى ما تفعل. ثم شيئا فشيئا تتواءم مع دورها الجديد، وتستمع إلى تأوهات أبوللو. وترى نفسها. ترى خضوعها في هذا الوضع.

تـزداد تأوهاته مع ازدياد ضغطها. تستطيع أن تشعر بمتعته أيضـا. وشيء آخر. إنها تمارس قوتها عليه، تتحكم بلذته. تخرج عضـوها فجأة ثم تطعنه مرة واحدة فيصرخ من اللذة. تفعل ذلك عدة مرات إلى أن يصرخ فيها أن تتوقف، ويخرجها من داخله.

" لا تفعلي ذلك بمنطق الرجال. كوني مثلما أنت. امرأة."

تحـــاول مرة أخرى. تدخله برفق، تضغط بهدوء وهي تتوغل بداخله، وتتحسس بعضوها جدار مؤخرته. ثم تضغط برفق وتفسح لعضـــوها ممـــرا بداخله. تشعر كأنها دخلت نفقا، وتشعر بأنفاس أبوللـــو وهـــو يحاول كتمها. تضغط عضوها داخل الممر إلى أن يصـــرخ. صـــرخة مختلفة. صرخة تشبه صرختها. " كفى. كفى أرجوكـــي." تـــتوقف. ينقلب على ظهره منهكا. ينظر إليها بعينين دامعتين. ترى ما رآه فجر أن لامس ألمها.

" لم تصل امرأة قبلك إلى ما وصلت إليه."

عـــين أيضـــا مـــنهكة. كأنها تقمصت روحا أخرى من حياة ســـابقة. تخلـــع عضـــوها. تغســـله بماء البحر وتعيده إلى الكيس البلاستيك.

" تزوجيني. سنصنع عالما أفضل."

" ســـننجب وحشـــا سيدمر العالم. ألا ترى أننا متشابهان. ألم ترى الشيطان الذي يسكننا."

" نحن الآلهة الجدد. صدقيني."

" أريد أن أعود إلى المخيم." وتذهب إلى القارب.

يعودان إلى المخيم. يدعوها إلى الغداء. ترفض.

" أريـــد أن أكـــون بمفردي. لقد استهلكت طاقتي، ابتعد عني الآن."

لا يعجبه كلامها، ويهددها إن كررته سيختفي إلى الأبد.

" انت حر."

تـــدخل إلى خيمتها. مشوشة، ومتعبة، وواجمة. ترتمي على فراشها الأرضي. تثبت عينيها على نقطة ما إلى أن تغفو وعيناها مفتوحتان.

تفـــيق قـــبل الغـــروب. تعد فنجانا من القهوة. صـار لها فترة تبحث عن عينين أشبه بالخطين، ولا تجدهما. تغسل الفنجان وتعد قهـــوة أخـــرى. ســـكر زيـــادة، مضبوطة، عالريحة، سادة. تقلب الفـــنجان بطريقة مختلفة. وتبحث عن رائحته، إلى أن تلتقطه من بـــين وجـــوه كثيـــرة مألوفة وغير مألوفة. تطمئن روحها. وتقرأ كلمات عُد، وعيد، وعهد. لكنها تحلم به في ذات الليلة يتزوج من امـــرأة لـــم تتبين ملامحها جيدا. تستيقظ فجرا. وتتذكر الحلم. كان حفل عائلي بسيط. وعلي كان يبدو هادئا كعادته ومبتسما. لم تشعر عـــين بالغضـــب أو حتـــى بالدهشة. قالت بطريقة واقعية، وكأنها تتحدث عن شخص آخر، " سيتزوج علي."

و دون أن تفكر، تطلب رقمه. يرد عليها مرحبا.

" انـــت لســـة صاحي لغاية دلوقت؟" تسأله باستغراب وبود، وكأنما لم ينقطعا عن الحديث منذ شهرين.

" سأسافر بعد عدة ساعات."

تنتبه عين أن هذا وقت عطلته الصيفية.

" علي ، انت هتتجوز."

يضحك علي وهو يسألها كيف عرفت. " حلمت بفرحك."
يصمت علي. تكاد تقرأ الاندهاش على وجهه.
" من هي؟"
" سأخبرك فيما بعد، عندما يتم الزواج."
" أنا عارفة هي مين."
" مـــين...." يسأل بنوع من الدلال، وعدم التصديق لما يمكن أن تعرفه.
" لا أعـــرف اســـمها، لكنها تلك الضفدعة التي كانت تحاول الرقص عند عائشة."
يضـــحك عالـــيا وهـــو يردد كلمة ضفدعة، لكنه لا يؤكد ولا ينفي.
" إيه أخبارك انت يا عين؟" يسأل باهتمام حقيقي.
فتحكي له كل شيء دفعة واحدة. تسمع الفزع في صمته.
" علي..."
" مـــاذا تفعلـــين بنفســـك يا عين؟" يصلها صوته مخنوقا من الانفعال.
" ما انت يا علي اللي...."
" انت اللي مشيت يا عين."
" كـــان قلبـــي حاسس إن في حاجة بتحصل من ورايا، وآهه انت هتتجوز." ترد بانفعال.
" عين، أتركي هذا المكان فورا وارجعي الى القاهرة."
" أنا خايفة يا علي، بس مش قادرة أرجع. أنا منجذبة له."

" هذا الرجل خطر وقد يؤذيك حتى ولو لم يقصد."
تصمت. وينتظرها علي الى أن تقول شيئا.
" علي، كتبت عنك قصيدة. ممكن أقرأها لك؟"
" اقرئي."
تقرأ له ما كتبته وهي تنتظر طلوع القمر.
" جميلة."
" علي..."
" نعـــم..." يرد عليها وقد رقّ صوته وصار عذبا مثلما كان سابقا.
تنطق بالكلمة التي أرادت أن تقولها منذ بداية المكالمة.
" انت وحشتني أوي."
" وانت كمان يا عين وحشتيني."
" كنت هتسافر من غير ما تسلم عليّ؟" تعاتبه برقة.
" كنت عارف انك هتتصلي."
" طيب، حاول تنام شوية، وكلمني لما ترجع."
" عين خذي بالك من نفسك، وبلاش الرجل ده."
" هاخد بالي من نفسي. حاضر."
" اقفل الخط بقى."
" اقفلي انت الأول."
" طيب، هعد 1 2 3 ونقفل مع بعض."
تعد 1 2 3 وتنصت.
يكاد الاثنان يقولان في الوقت نفسه، " ما قفلتش ليه؟"

يضـــحكان معا، وتشعر عين بسعادة غامرة. سعادة تشبه تلك التي فقدتها من زمن لم تعد تحسبه بالسنوات العادية.

" طيب أنا هقفل. أشوفك بخير." وأغلق الخط.

قــبّلت عــين الهاتــف. كم كانت تفتقد دفء صوته. هدوءه. عذوبــته. هــذا الكورســيكي المجنون أنهكها. عادت إلى فراشها فــرحة. ســعيدة لأنها استعادت صديقها الذي تحكي له كل شيء. سعيدة لأنها شعرت بحب علي لها وخوفه عليها.

تستيقظ ظهرا وهي غير متأكدة إن كان حديثها مع علي تم في الحلم أم في الواقع. تراجع قائمة اتصالاتها على الهاتف. لقد اتصلت به فجرا. حدث إذن. يرن الهاتف وترد بصوت من لم يفق بعد من الحلم، ودون أن تنظر إلى رقم المتصل. عائشة تخبرها بأنها أوصلت علي إلى المطار وأنه سيتزوج. " أعرف." ترد عين بهدوء. وتضيف بأنها اتصلت به قبل ساعات. تسألها عائشة أن كان أخبرها عن العروس. " تهرّب من الإجابة، وقال أنه سيخبرني عندما يتم الأمر، لكني أعرف من هي." " من؟" تسأل عائشة بفضول عارم. تذكرها عين بالحفلة التي أقامتها ثم تصف لها امرأة بعينها. " سلمى!!" تنطق باندهاش ثم تضيف، " إنها صديقة خطيبة علي السابقة. مش ممكن." " سيتزوجها يا عائشة وسترين." تقول عين بجزم قاطع. " أنا اعتقدت أنه سيتزوج كريمة، المرأة الأخرى التي أتت مع سلمى." " لقد تابعت الاثنتين. كريمة تريد أن تتسلى مع علي، تقضي معه ليلة أو ليلتين. أما سلمى هذه فكانت تتصرف كامرأة تصيد زوجا." ترد عين وهي تسترجع بعض تفاصيل تلك الحفلة. تشعر بالغضب المؤجل يتكاثف بداخلها. تنهي المكالمة. وتذهب إلى البحر.

تسبح. تسترجع حديثها مع علي فتفرح. تتذكر المرأة التي سيتزوجها فتغضب. وبين الفرح والغضب تستدير إلى الشاطئ بحثا عن الكورسيكي. لا تجده.

لم الغضب؟ تسأل نفسها. هل لأنها لا تزال تحبه، أم لأنه سيتزوج. لأنه كان يرتب لزواجه أثناء علاقتهما. للمرة الثانية. تسترجع ابتعاده في الشهور الأخيرة، صمته إذا تقابلا، وتصميمه على النوم بمفرده. والحفلة، والإشارات المبهمة. تبكي رغما عنها وتلعنه في سرها. وتكرهه لأنه سيتزوج ممن هي نقيضها في كل شيء. ربما لو كانت أفضل منها أو حتى مثلها لما غضبت كل هذا الغضب. لكنه اختار من هي أقل منها في كل شيء. تتمنى له السوء. وتقرر أن تنتقم منه. ستؤذيه مثلما آذاها. ستهديه عضوا ذكريا ضخما من البلاستيك، وستنصحه أن يستخدمه مع زوجته. تعرف كيف سيشعر علي حينها. تعرف كم هو رجل شرقي وتقليدي. تعرف حجم الإساءة. ربما ستكون تلك آخر مرة يتقابلان فيها. ليكن. لم يعد هناك ما يستوجب الندم.

يـــرن الهاتف. تنظر إلى الرقم. لا تعرفه. ترد، فيأتيها صوت آخر شخص يمكن أن تفكر فيه، ولا تصدق أذنيها، وتصيح بمرح، " جـــوووورج!!" لقـــد نســـيت تمامـــا هذا الشخص، وكل رحلة الصـــحراء الكبرى. تدعوه على الفور إلى قضاء بضعة أيام معها فـــي دهـــب. يوافـــق، ويسألها عن مواعيد الباصات. هناك موعد منتصـــف الليـــل، وهو أفضل موعد لأنه مباشر إلى دهب. " إلى اللقـــاء إذن صـــباحا." " سأنتظرك عند المحطة." تغلق عين الخط وهي تهز رأسها تعجبا. تسترجع الأوقات التي أمضتها مع جورج وتبتسم. للقدر تصاريفه. جاء في الوقت المناسب.

تفاجـــأ صباح اليوم التالي بأبوللو أمام خيمتها. يسألها إلى أين هي ذاهبة، فتخبره أنها ستمضي بضعة أيام مع صديق قديم. يدّعي الغيرة، ويقول بطريقته الاستعراضية، " كيف تخرجين مع شخص آخر، أنا لا أحب أن أرى فتاتي مع رجل غيري."

" اطمـــئن، ســـنذهب إلـــى مخيم آخر." ثم تضيف باستنكار، وكأنها انتبهت فجأة إلى شيء قاله، " من الذي قال إنني فتاتك.." " أنا... ألست رجلك، وأنت فتاتي." يرد بطريقة هزلية، ويركع عند ركبتيها، " ألم أطلب منك الزواج؟" تتجاهل عين تمثيله، وتقول له بحـــدة، " لســـنا في علاقة يا أبوللو. افهم ذلك جيدا." ثم تتجه إلى محطة الأتوبيس.

تستقبل عين جورج بود حقيقي. يذهبان إلى مخيم بدوي في الطرف الآخر من دهب. يستعيدان بعضا من ذكريات رحلة الصحراء. تسأله عن مايكل. يخبرها أنه أجرى جراحة في ساقه، لكن لديه عرج خفيف. يمضيان النهار في البحر. ثم تتعمد عين أن يذهبا إلى أماكن يرتادها أبوللو. وأخيرا تلمحه في المرقص. تجذب ذراع جورج وتدخل حلقة الرقص. تتصنع أنها لم تره، لكنها تلمح غيرة حقيقية في عينيه. تنتظر أن يأتي إليها ويقول أي كلام، لكنه يغادر المكان.

مع ظهور جورج المفاجئ، تستعيد عين بعضا من اتزانها النفسي. إذ ليس هناك انفعالات حادة، أو تجارب جنسية متفردة. مع التعدد، تركز عين على ذاتها فقط. لا تفكر في أي رجل من الثلاثة. ترتد بشكل ما إلى طفولتها. تلعب بالرمال، تحفر أنفاقا، وتبني قلاعا. تحزن عندما يذيب موج البحر قلاعها، ويغرق أنفاقها، ثم تضحك وتبدأ من جديد. لكن عندما مارست الجنس مع جورج، اكتشفت أنها فقدت شيئا. فقدت إحساسها القديم بالمتعة. وفزعت من رغبتها في متعة الجذب والشد في منطقة ألمها.

بعد ثلاثة أيام، يودع جورج عين ويتركها لاكتشافها المفزع. تعود عين إلى مخيمها، تحزم حقيبتها وتقرر العودة إلى القاهرة. تتصل عائشة، وتخبرها أنها حقا سلمى التي تزوجها علي. " يتهنى

بها." ترد عين بلا اكتراث. تلغي السفر. وتذهب إلى البار. تشرب إلـــى درجة السكر. وعندما ترى الكورسيكي، تذهب إليه، وتقول كلمة واحدة وهي تنتحب، " موافقة."

يحملهـــا بعـــيدا. ودون أن ينزع عنها ملابسها يدخلها. يدعها تتركه بداخلها إلى أن تتخفف من بعض الألم، ثم ينسحب. يعودان إلـــى المخيم. ينام أبوللو على الشاطئ، وتدخل عين خيمتها وتنام نوما عميقا حتى الصباح.

تفـيق علــى مأمــأة ماعــز. تخرج من خيمتها وتجد أبوللو بانــتظارها فــي سيارة ربع نقل تحمل سبع عنزات. يحثها أبوللو علــى الإســراع. تــتطلع إليه بعينين ناعستين، " هيا سنسافر إلى القاهرة، وأطلبك من جدتك." تتسع عيناها دهشة، وتفتح فمها لتقول شــيئا. تتذكــر فجأة أنها قالت له موافقة. لكنها لم تعتقد أنه سيأخذ الموضــوع جد. تنظر إلى الماعز المربوطة خلف كابينة السيارة. وتســأله عــنها. فيجــيب بحماس أنه سأل عن عادات المصريين الخاصة بالزواج وعرف أنه يجب أن يقدم شبكة ومهرا للعروس. لا تزال عين لا تفهم سبب وجود الماعز. وتسأله وهي تهز رأسها تعجبا، " وأين الشبكة والمهر؟" فيشير إلى الماعز. " هتتجوزني ب 7 معــزات يا أبوللو... انت اتجننت؟" وتضحك. فيشرح لها أبوللو أن هذا هو المقدم والباقي على أقساط، مرتين في السنة وفقا لدورة الحمل والإنجاب الخاصة بالماعز. تعجبها الفكرة. يسألها أبوللو إن كانــت جدتها ستقبل موضوع الزواج. " أنا متأكدة أن جدتي ستقع فــي غــرامك، هي الأخرى بها مس من الجنون." تستحم سريعا وتغيــر ملابســها، ثــم تنظر إلى هيئة أبوللو، وتقول، " لكن مش ممكــن تقابل جدتي بهذا الشورت، والشبشب البلاستيك." " عندك حــق!!" يختفــي بسرعة، ويعود بعد عشر دقائق مرتديا البنطلون

الجينز والقميص والحذاء الذي أتى بها إلى مصر. " لا أرتديها إلا في المناسبات الهامة." قال وهما ينطلقان إلى القاهرة.

في الطريق، يسألها عن اسم جدتها. تحتار عين، فهي في الحقيقة لا تعرفه. الكل ينادي جدتها ب " نينة "، والخطابات التي كانت ترد إليها من روسيا كانت تحمل لقبها بعد الزواج " حرم ربيع الساقي". " أعتقد أن اسمها نتاشا." تجيب عين بصوت هامس.

يصلان إلى البيت. يحمل أبوللو 4 عنزات، وتحمل عين العنزات الثلاث الأخرى وهي تتخيل رد فعل جدتها. تفتح الباب وتنادي " نينة". تفاجأ الجدة بالماعز ينطلق في الصالة. تنظر إلى نتيجة الحائط، وتقول باستغراب، " هو العيد جه؟" تنفجر عين في الضحك وهي تحتضن جدتها، " دول مهري يا نينة." تنتبه الجدة إلى وجود أبوللو، " مين ده؟"

ترد عين وهي لا تزال تضحك، " عريسي." يتنحنح أبوللو، وينحني أمام الجدة، ويُقبل يدها. تبتسم الجدة له، فيتشجع. " مدام نتاشا، اسمحي لي.." تقاطعه الجدة وقد اختفت الابتسامة تماما عن وجهها، وتقول بحدة، " اسمي فيرونيشكا." يرمق أبوللو عين بنظرة غاضبة، فتهز كتفيها، " لم أكن أعرف."

يبدأ أبوللو الاستعراض من جديد. ينحني أمامها، ويُقبل يدها، ويقول برصانة، " مدام فيرونيشكا، اسمحي لي أن أطلب يد عين للزواج." تنظر إليه الجدة في صمت. فيشرح لها نظرية التوالد الخاصة بالماعز، مؤكدا أنه في سنوات قليلة ستصبح لديه ثروة

مـــن الماعز تقدر بنصف مليون جنيه. عين تتابع الحوار العجيب وهي تقمع رغبتها العارمة في الضحك. يصمت أبوللو وينتظر رد الجـــدة التـــي لا يفصـــح وجهها عن أي تعبير الآن. تهش الجدة الماعـــز، وتشير بيدها إلى الباب، " برة." تنفجر عين في الضحك، ويفـــتح أبوللـــو ذراعـــيه بطـــريقة مسرحية، ويتوسل، " نيننننة." بإصبعها تشير إلى الباب، " برة." ثم تتوجه إلى عين، " وانت، لو أصـــررت علـــى الزواج من هذا" وأشارت بإصبعها إلى أبوللو، " سأحرمك من الميراث." تردد عين كلمة الميراث وهي غارقة في الضـــحك، " نينة، انت بتسمي الكراكيب اللي جيتي بها من روسيا ميراث!!" تهشهم الجدة جميعا كذباب حامل للكوليرا، وتغلق الباب.

يـــتهم أبوللـــو عين بأنها السبب في رفض الجدة، فتهز عين كتفـــيها. انـــتهت المسرحية. " لو لم أخطئ في اسمها من البداية لـــوافقت. أنا أعرف النساء." يضعان الماعز في السيارة، ويعودان من حيث جاءا.

بعـد أيـام، يستأجر أبوللو معدات غطس له ولعين من أحد مراكز الغطس التي يتعامل معها. ويطلب من عين أن ترافقه إلى مـنطقة غطـس نائية. تسأله عين عن سبب اختياره لتلك المنطقة البعـيدة، فيخبـرها بأنه لم يختارها من تلقاء نفسه. لقد نام بالبيت المسـكون، وزاره شـبح صـاحب البيت وطلب منه البحث عن المفـتاح فـي تلـك المـنطقة. " يا سلام!!! طيب، وإذا لقيت أنا المفـتاح؟" تسـأله عـين بنبـرة متحدية. " ستعطيني المفتاح، لن تحرمينـي من أن يكون البيت لي. أليس كذلك؟" تتنهد عين وهي تقول له، " اممم، ليس أكيدا، لا تعتمد على كرمي."

يجهـزان المعـدات، يـرتديان لباس الغطس، ويدخلان إلى البحر. تحاول عين أن تتجول تحت الماء بعيدا عن أبوللو، لكنه لا يتـركها بمفردها. رغم أنه كثيرا ما أخبرها أنها الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يثق به، إلا أنه لا يستطيع أن يعتمد على أهوائها عـندما يتعلق الموضوع بالمفتاح. يظلان على عمق عشرة أمتار تحت الماء، يبحثان بين الصخور والشعاب المرجانية إلى أن يشير مؤشـر أسـطوانة الهـواء إلـى أن الأكسجين على وشك النفاد. فيصعدان تدريجيا وهما منهكان. " مستحيل، لقد أخبرني الشبح أن هـذا هو المكان، وعشرة أمتار." يصيح أبوللو غاضبا بمجرد أن يطفو على سطح الماء.

يستريحان قليلا، يغمض أبوللو عينيه وكأنه يسترجع تفاصيل خـــريطة وهـــو يشير بأصابعه إلى اتجاهات ما. ثم ينهض ويبدل أســطوانات الهــواء الفارغة بأخرى ممتلئة، ويكرران المحاولة. نفس النتيجة. لا شيء.

فـــي المحاولة الثالثة، يلمحان المفتاح محشورا وسط الشعابَ المــرجانية، تقريبا في نفس الوقت. إلا أن يد أبوللو أسرع من يد عــين. يقبض على المفتاح بقوة ويستخرجه من بين الشعاب التي أدمــت يده. ثم ينفلت منه. يمسك بذراع عين ويحاول إبعادها، إلا أنها تفلح بيدها الأخرى في الانقضاض على المفتاح الصدئ. يظل قابضا على ذراعها إلى أن يصعدا إلى السطح.

" اعطيني المفتاح." يقول بصوت لاهث.

" لا." ترد بتصميم، وهي لاهثة أيضا.

يتــرك ذراعهــا. يخلعــان لباس الغطس، ويضعان المعدات بالسيارة.

طـــوال الطـــريق، يحـــاول أبوللو أن يقنع عين بالتخلي عن المفتاح، وهي ترفض بعناد غريب. ولا تعرف في الحقيقة لم هي متمسكة به. البيت لا يعنيها في شيء، بل هي لا تصدق الموضوع من أساسه، وتتعامل مع حكايات أبوللو باعتبارها هراء. ومع ذلك تتشبث بالمفتاح. " ستندمين يا عين." يحذرها أبوللو بهدوء مريب. " لا يوجد ما أندم عليه، صدقني." ترد دون أن تنظر إليه. يصلان المخيم. تنزل عين من السيارة، وتقول بمرح صبياني، وهي تلوّح بالمفــتاح، " أراك لاحقا". يرد أبوللو بصوت لم تنتبه إلى غرابته حينها. " أراك في الجحيم. "

تُعلق عين المفتاح في رقبتها وتدلّيه على صدرها أسفل بلوزتها. وفي اليوم التالي، توقف سيارة أجرة وتطلب من السائق الذهاب إلى البيت. يصيح الرجل بفزع، " البيت المسكون." ويرفض تماما. توقف سيارة أخرى، يوافق السائق على توصيلها إلى أقرب مكان من البيت. وتسير هي المسافة المتبقية.

تفتح زجاجة بيرة، وتضع شريط كاسيت لفرانك سيناترا. " ماي واي". وتحتفل بوجودها الشرعي في البيت المسكون. ثم تلف وتدور حول البيت بحثا عن الفتحة الخاصة بالمفتاح. لكنها لا تجدها. المفتاح أكبر من كل الفتحات الموجودة. بعد كل التعب ده!! تشك أنه ربما ليس المفتاح الذي تحدثت عنه الأشباح. لا يهم الآن. أنا في البيت. تستلقي على الشاطئ وتعرض جسدها لشمس العصرية إلى أن تغرب الشمس مخلفة وراءها ذلك اللون الوردي الغامق الذي يتحول إلى بنفسجي مثير للشجن. تتذكّر علي. الكلام معه وجها لوجه. اتساع ضحكته حينما يمازحها بصبيانية. زاوية شفتيه التي يرفعها يسارا سخرية من آرائها أحيانا. مداعبة طرف أنفه. الاكتشاف الذي لم يصل إليه أحد قبلها. اندهاشه، وربما اكتشافه لنقطة مداعبة لم يكن يعرفها، وزجر عينيه. ملمس جلده على جلدها. نفسه. رائحته التي كانت تشبه رائحة طفل رضيع. أفتقدك يا علي. أفتقد نفسي.

تــدخل البيت وتضيء جميع حجراته بالشموع، وتدير أغنية فرانك سيناترا من جديد. " ماي واي" تتردد في كل البيت، تنطلق من النوافذ، غير الموجودة، إلى البحر وترجع إليها، وهي مستلقية علــى منامــتها في الحجرة التي قررت سابقا أنها ستكون حجرة نومها.

تســتيقظ فجرا على صوت صراخها. جدتها، أبواها اللذان لا تتذكــر ملامحهمــا إلا من خلال صورة زفافهما المعلقة على أحد جــدران غرفتها، كل أصدقائها. كلهم مشوهون ومرضى بالجذام والشــلل يشــربون خمــرا، ويضحكون بصوت بشع وسط ركام وحــرائق. وأبوللــو فــي عربة أطفال يبتسم لها ابتسامة طفل فقد براءته.

ترتعش عين رغم الحرارة التي تكاد تشعر بها تحرق جلدها. تضع كفيها على وجهها وتبكي.

لقد رأته في الجحيم، كما قال.

تسير عين إلى المخيم وصورة الجحيم لا تفارقها. تجد أبوللو أمام خيمتها. تخلع المفتاح من عنقها، وتعطيه له دون كلمة.

تدخل خيمتها. تعد حقيبتها. تذهب إلى محطة الأتوبيس. تعود إلى القاهرة.

ترسل عين رسالة قصيرة إلى علي فور علمها بعودته إلى القاهرة. ورغم غضبها من أنه لم يتصل بها وقد مرّ أسبوع على وصوله، إلا أنها تعاتبه برقة، " ماكانش العشم." فقط. وكأن علي كان ينتظر هذه الإشارة، يتصل فورا. وبمجرد أن يسمع صوتها يناديها بلفظة خارجة تعلمها من عين. وستصير تلك الكلمة، منذ تلك المكالمة ،تعبيره الوحيد اللفظي عن حبه المطلق لعين. يتضاحكان وهما يتقاطعان في الحديث، وكأن كل منهما افتقد الكلام مع الآخر من زمن.

" إيه أخبار الجواز؟" تمازحه عين.

" زفت." يرد علي ضاحكا، وإن كان جوابه يحمل ربكة رجل فقد حريته للتو.

" معلش... بكرة تتعود.." تسمع عين درجة مستترة من الشماتة في صوتها، ويلتقطها علي. " فرحانة فيّ!!!"

" بصراحة، أه..." وتضحك عاليا. تسأله إن كان في المكتب، فيجيب بنعم.

" سأمر عليك."

ترتدي فستانا ورديا فاتحا يبرز لونها البرونزي الذي اكتسبته من شمس سيناء، وتذهب إليه.

تتفحصه كأم أصر ابنها الوحيد على الذهاب إلى جبهة قتال لا تخصـــه. وألقـــى بنفســـه إلى التهلكة. تبتعد وتقترب. تتحسس كل أجزاء جسده، وكأنما تتأكد من وجوده كاملا، وأن تلك الضفدعة لم تأكـــل مـــنه شيئا. يرتعش من ملمس يديها، ويضحك، " إيه؟" تهز رأســـها، وهـــي تقـــول، " ازداد الشـــيب في شعرك..." وتضيف مازحـــة، " بؤس ختامك يا علي!" يضحك علي وهو ينتزع جسده مـــن بـــين يـــديها، " تعتقدين أن هذه نهايتي!!" تخرج عين لسانها ونظرة عينيها تقول، " نهايتك معي."

رغـــم أنـــه عبـــر المنطقة الوسطى، ويبدو وكأنه حسم أمره بالزواج من تلك المرأة، فصار هناك. إلا أن صوته وعينيه يشيان بأن الحسم غير نهائي، وبأنه لم يعبر الحدود تماما، وبأنه لا يزال يتأرجح في تلك المنطقة الشائكة بين الهُنا والهُناك.

تجلـــس علـــى ساقيه، وتقبله في عينيه. ثم تقفز فجأة وتجلس علـــى الكرســـي المقابـــل. يقـــرأ علي حيرتها، فيمد ذراعه إليها ويجلسها ثانية على ساقيه.

" وضـــعك اتغير يا علي، لم اعد أعرف ما هو المسموح لي، وما هو غير المسموح."

يســـألها عن أبوللو. تحكي له التطورات، وتخبره عن صورة الجحيم التي أرسلها إليها في الحلم. " رأيت كل أصدقائي، إلا أنت يـــا علـــي. نفـــدت من الجحيم." ثم تواصل كلامها وكأنها تحدث نفسها، " ربما زواجك من امرأة أخرى أفضل لك."

" هل تشعرين بالغيرة يا عين؟"

تفكـــر عين قليلا ثم تجيب بلا. يبدي استغرابا. فتسأله بدلع، " هل تغير أنت من أبوللو؟" لا يرد. فتشرح له عين،

" لقــد حفرت مكاني داخلك بجهدي، وبتفاعلك معي، بالفرح والألـــم. وأنـــت أيضا حفرت مكانك داخلي، بشخصيتك وبتفاعلي معـــك، بكل اللحظات والمشاعر المختلفة التي عشناها معا. سلمى لا تســـتطيع أن تأخـــذ مكانـــي، تستطيع أن تحفر مكانها الخاص بداخلك، قدر جهدها وتفاعلها. وأبوللو لا يستطيع أن يأخذ مكانك، لكنه حفر مكانه بداخلي بطريقته هو."

يحتضـــنها علـــي بقـــوة، ويقبلها على جبينها. " يعني مش زعلانة يا عين؟"

تصـــمت عـــين لفترة، ويبدو عليها التردد. يستحثها علي، " قولي يا عين، بتفكري في إيه؟"

" هقولك يا علي، لأني لا أستطيع أن أخفي عنك شيئا."

ثم تعترف.

"فـــي الأول غضبت جدا ليس لأنك تزوجت، لكن لأنك كنت تـــرتب لذلك من ورائي، ولأنك تزوجت بمن هي نقيضي في كل شيء. شعرت بالإهانة."

ثم تنظر بعمق في عينيه، وتقول بنبرة تحمل يأسا،

" تعرف كنت عايزة أهديك إيه."

يهز علي رأسه نفيا، وأسفا في ذات الوقت.

" كنت عايزة أهديك عضو ذكري بلاستيك."

يــبهت علي، يفتح فمه لبرهة ثم يغلقه ثانية، ويضع يده على فمه. فتواصل عين اعترافها.

" كــنت عايــزة أأذيك يا علي، كنت عايزة أنتقم منك. كنت عايزة أجرحك زى ما جرحتني."

يزفــر علي الهواء الذي انحبس في صدره بقوة. وهو ينظر في عينيها ليتأكد مما تعترف بها، لكنه يعرف صدقها دائما.

" كــنت عايــزة تعملي كدة فعلا؟" يسألها بصوت مخنوق من شدة الانفعال.

تومــئ عين رأسها، " لكن قلبي لم يطاوعني. مع الوقت راح الغضب وبقي الحب."

يصمت علي لفترة، وكذلك عين.

" أنا آسف يا عين."

تحتضنه عين بقوة، وتقبل كل وجهه.

" الأم ممكــن تغضب من ابنها، ممكن تضربه، تطرده خارج البيت. لكنها لن تتخلى عنه أبدا أو تخذله."

" صحيح."

ترى الامتنان في عينيه.

" طيب مش هنشرب بيرة مع بعض."

" نشرب."

تلقائـــيا، تـــذهب عـــين إلى مكتب علي وتقضي معه النهار. يتركها علي تجلس على ساقيه، وتقبل عينيه كيفما تشاء. لكنه يبعد شفتيه عن شفتي عين في اللحظة التي يشعر أنه سيستسلم لها.

تلح عين في أن يذهبا إلى بار قريب من المكتب قبل أن يعود علـــي إلى بيته وزوجته. تقتنص ساعة أخرى منه. ويشربان معا بضـــع زجاجات من البيرة في وقت قياسي. ثم تضطر في النهاية لإطـــلاق ســـراحه. بينما هو يشعر أنه عائد إلى السجن، لكنه لا يُصرّح.

وعندما استعدت عين نفسيا لقبول زوجته في حياتهما أخبرت علي أنها مستعدة أن تحب سلمى وأن تعاملها كأخت لها.

" متأكدة، يا عين."

" سأحاول يا علي."

تطلـــب منه أن يدعوها إلى العشاء في بيته. يعدها بذلك حين يرى أن الوقت مناسب.

تفاجـــأ عين بأبوللو يهاتفها. ويقول لها أن تسجل رقمه. تسأله من أين له بالموبايل. " مجهود مضاعف. صدقيني." تستشعر عين أن فـــي الأمر امرأة. ويصدق حدسها، إذ لا يستطيع أبوللو كتمان أمـــره عنها. " يجب أن تأتي إلى دهب. صار لديك منافسة." ترد عـــين بدون اكتراث، " أنا آخر من تتنافس عليك يا أبوللو. وأنت تعلـــم ذلـــك جيدا." " أعرف، لكن تعالي، سأقيم حفلة بمناسبة عيد

مـــيلادي. سأتم 33 عاما. هذا هو العمر الذي صُلب فيه المسيح."
سأفكر. تقول ولا تعد بشيء آخر.

تذهب إلى علي وتخبره بمكالمة أبوللو. " انت لسة مع المجرم دة؟" يســألها علي باستنكار وهو يهز رأسه تعجبا من أمرها. " فيه حاجـــة بتشـــدني له يا علي." تقول عين بصوت هامس وحائر في نفس الوقت.

" عـــين، انتـــي حرة في علاقاتك. لكن انتبهي أرجوكي. ولن أكرر لك هذا الكلام مرة أخري. هذا الرجل انتحاري، وقد يؤذيك دون أن يقصد."

تصدر عن عين تنهيدة عالية وتخبر عليْ، " هذا الرجل لامس ألمـــي يـــا علـــي. أنا أحتاجه." يهز علي رأسه رافضا ما تقول. تضـــيف عـــين، " أنـــا أحتاجه كي لا أندفع تجاهك. أحتاجه لأنه يجعلنـــي الى حد ما متوازنة، أو ربما لأنه يمثل الجانب المجنون فيّ. لا أعرف. لكني سأختل يا علي إن بقيت على هذا الحال."

يستمع علي إليها صامتا.

" سأذهب إلى دهب الليلة."

" انتبهي لنفسك." يقول لها وعيناه تتوسلان إليها ألا تذهب.

" عندما أعود. أريد أن أتعشى عندكوا في البيت. عايزة آكل لحمة." تذكرّه بمرح.

" لمّا ترجعي." ينطق بشك.

" سأرجع طبعا. أنا لا أطيق صحبة أبوللو لأكثر من يومين."

تودعه بقبلة علي عينيه. وتتوجه الى محطة الأتوبيس.

تتصل بأبوللو قبل أن تصعد الى الأتوبيس المتجه الى دهب. " سأنتظرك بالمحطة. عندي لك مفاجأة." يقول بحماس. ترد عين بفتور، " مفاجآتك كترت أوي يا أبوللو."

تخلط كوكا كولا ببعض من الويسكي الذي أعطاه لها علي للطريق. تشرب جرعات كبيرة وبسرعة كي تتمكن من النوم.

تصل دهب بعد منتصف الليل، وتجد أبوللو في انتظارها بداخل سيارة هيونداي سوداء فاخرة. يخرج أبوللو من السيارة ويفتح ذراعيه بطريقته المعتادة، " حبيبتي!! ما رأيك؟" ويشير الى السيارة. " لا تناديني بحبيبتي مرة أخرى. فاهم." ثم تلف حول السيارة وتهز رأسها، " واضح أنها امرأة غنية جدا." تعلق عين. " وعجوز جدا." يقول أبوللو وهو يضحك. " تُذكرني بجدتي. هيا."

ينطلقان بالسيارة باتجاه البيت المسكون. تتذكر عين صورة الجحيم، فتقول لأبوللو أنها لا تريد أن تذهب الى ذلك المكان. يرمقها أبوللو بنظرة عارفة، ويذكرها، " أنت التي أصررت على عدم إعطائي المفتاح. وقلت هازئة " أراك لاحقا " أين سأراك إذن إلا في الجحيم!"

يتكثف الفزع داخل عين فتلوذ بالصمت، وتتشبث بحقيبتها الصغيرة.

يواصل أبوللو الحديث، وهو يتذكّر واقعة قديمة.

" تعلمـــين، عـــندما كـــنت فـــي الســـجن، رفضت المسؤولة الاجتماعية أن تدعني أخرج مسرحية من تأليفي، وجاءت بمخرج مـــن الخـــارج. وكانت حاملا. فقلت لها أنها تعيش بحرية خارج الســـجن، وأننـــي مســـجون في زنزانة حقيرة، وحذرتها إن هي أصـــرت على حرماني من إخراج المسرحية، سأسمم حليب ثدييها ويموت رضيعها."

تلتفت عين إليه برعب، وتسأله ماذا حدث بعد ذلك.

" أصـــرت علـــى حرماني من حقي، فسممت حليبها، ومات الرضيع."

" أبوللـــو، أنـــا لا أريد أن أذهب الى ذلك البيت." تقول وهي تتذكّر تحذير علي لها.

" عـــين لا تخافـــي. لـــن أؤذيك أبدا. أنا أحبك." يقول بنبرة صادقة.

هي تعرف أنه يحبها. لكنها لا تستطيع الوثوق به.

يســـتدير أبوللـــو بالســـيارة ويقفل عائدا الى منطقة المطاعم والبارات. " هيا نشرب بيرة الى أن تهدئي."

فـــي البيت المسكون، يخبرها أبوللو عن مليسا. سيدة أعمال تمـــتلك ملـــيارات تقيم الدنيا وتقعدها إذا نقصت عمولتها المليونية دولارا. لكـــن أبوللو يتمنى لها دائما أن تخسر بضعة دولارات، إذ حيـــنها تدخله مليسا بكل الغضب والكره الموجود في العالم. تكاد تمزق مؤخرته نتفا، لكن متعته تتضاعف قدر خسارتها. لا تعرف عين لم يخبرها بهذه التفاصيل. هل يحكي بشكل عفوي، أم يقصد استثارتها.

" لكنها غبية، تعتقد أنها يمكنها شرائي بأموالها."

تنظر عين إليه بشك.

" لمـــاذا تنظـــرين إلـــيّ هكـــذا؟ هل تظنين أنني أسعى إلى أموالها؟" ثم ضحك عاليا.

" هـــل تعـــرفين كم حسابي في البنك، من تجارة المخدرات سابقا؟"

عين تهز كتفيها، " لم أخرج معك لأنك غنـي."

يشعل أبوللو سيجارة، ويأخذ أنفاسا سريعة، ثم يطفئها.

" أعرف. ولهذا أحبك، وأثق بك."

يخلـــع ملابســـه، " هيا، أدخلك أم تدخليني؟"، ويخرج العضو البلاستيك من حقيبته.

" سأدخلك أنا." وتأمره باتخاذ وضع السجود.

يناولها العضو البلاستيك. تهز رأسها. " أريد أن أشعر بك من خلال يدي."

تلمع عينا أبوللو، وتتسع دهشة. يتخذ وضع السجود دون مناقشة. تخلع عين ملابسها على مهل. ثم تغسل يديها جيدا بماء معدني. تضرب مؤخرته بكفها عدة ضربات خفيفة، ثم تدخل إصبعا وتخرجه. ينقلب أبوللو على ظهره ويقول لها، " جدتي كانت تفعل ذلك معي عندما كانت تخبئ أكياس المخدرات في مؤخرتي." ثم عاد إلى وضعيته السابقة.

تستأنف عين عملها بتأن نحّات. تدخل إصبعا ثم اثنين ثم ثلاث ثم كل كفها. تفتح أصابعها الخمسة بداخله وتخرجها. يموء أبوللو كالقطط. ثم ينقلب على ظهره ويأخذ نفسا عميقا ويزفره بقوة. ترى نظرة شيطانية في عينيه، وتردد ما بين رغبة عارمة في ترك نفسه لها ورعب من امتلاكها مؤخرته. تضربه عين على مؤخرته بشدة، فيعود إلى وضع السجود. تدخل يدها مرة واحدة، فيصرخ. تتجول بداخل مؤخرته وتتحسس أغشيتها، وترى مؤخرتها من الداخل. ثم تتسلل يدها بهدوء إلى ممره، وتعبر بوابة. يكتم أبوللو أنفاسه. تعبر من بوابة أخرى أضيق، وتتوغل أعمق إلى أن يصير نصف ذراعها بداخله. ثم تضغط مدخل بوابة أخرى. يصرخ أبوللو فزعا، " توقفي." عين تضغط مرة أخرى، وهي تعرف الآن أنها تستطيع انتزاع روحه بيدها. لكنه يدفعها بعيدا عنه. ويبكي.

تتركه عين، وتذهب إلى البحر. تغسل يديها جيدا. ثم تنام على الشاطئ بمفردها. منهكة.

يـــوقظ أبوللـــو عين في الصباح، " عين، هيا. يجب أن أعود إلـــى دهب. مليسا تريدني في أمر هام. " الساعة سبعة الصبح!!" تنهض وتعدل ملابسها. " مع من ستقضي ليلة عيد ميلادك؟" يقول وهو يدير محرك السيارة، " لا أعرف بعد. "

يعـــودان إلى منطقة المقاهي المطلة على البحر. يترك أبوللو عـــين بأحد الكافيتريات على البحر، ويطلب لها فطورا. يمشي، ثم يعـــود ليخبـــرها بمكـــان الحفل، ويضيف أن مليسا ستكون أيضا موجـــودة، " لكنها تكرهك بشدة. لا تخبريها بأننا ننام مع بعض." سكت برهة ثم قال، " أو قولي لها، لا يهمني. أنا رجل حر."

فـــي الحفـــل، تـــبادرها امـــرأة شقراء بدينة بالحديث بتودد مصطنع. تقدم نفسها بفخر أنها من أغنى نساء العالم. عين تهمهم، وهـــي غير مهتمة على الإطلاق بهذا الحديث التافه. تستمر المرأة في الثرثرة عن نفسها إلى أن تذكر اسم أبوللو. هنا يبدو على عين بعـــض الاهتمام. تخبر عين بود زائد وكأنهما صديقتان حميمتان أنهـــا كتـــبت خطابـــا إلـــى الله تطلـــب منه أن يرسل لها رجلا بمواصـــفات أبوللو، وأنها أرسلت الخطاب إلى الله مع موج البحر الـــذي انشـــق ساعتها عن أبوللو حاملا الخطاب. تنظر عين إلى المـــرأة التـــي تجاوزت الستين، وتقول في عقلها " ما وفق إلا ما جمّـــع". وأخـــرجت من حقيبتها ورقة مكرمشة، وقالت، " ها هو الخطـــاب إذا كـــنت لا تصـــدقينني." تجيـــبها عين بالعربية بنبرة

تهكمية، " صادقة يا اختي. صادقة." تصمت المرأة قليلا، ثم تسأل عين عن علاقتها بأبوللو. فتجيب عين بحذر، " نحن أصدقاء." فتسألها مباشرة، " هل تنامين معه؟" تراوغ عين، وتقول، " لا توجد علاقة بيني وبين أبوللو. قلت لك نحن أصدقاء. ألا تفهمين الإنجليزية!" ثم تنهض من جانب تلك العجوز المتصابية لتحدث آخرين.

تراقب أبوللو وقد بدت عليه آثار السكر، وبدأ يهذي بكلام غير مترابط، لكنه كاشف. وفجأة يطيح في الآخرين ويبدأ في السب وضرب من يعترضه بما في ذلك مليسا. لا تعرف عين هل تتدخل أم لا. لكنها تخطئ. تصفع أبوللو على وجهه، فيرد لها الصفعة بأقوى منها، تترنح عين على إثرها. لكنها قبل أن تسقط تشد أبوللو من شعره، ويسقطان معا على الأرض ويترافسان. يتدخل شرطي لفض الشجار. تنهض عين من على الأرض وترتب ملابسها، وهي تنظر شزرا إلى أبوللو. يسألها الشرطي إن كانت ترغب في تحرير محضر لأبوللو. تتمالك عين نفسها، وتجيبه، " لأ. دي خناقة عائلية." يبدي الشرطي استغرابه وهو ينظر إلى عين بملامحها المصرية الواضحة، وإلى أبوللو الذي وقف يبرطم بلغته، ويسألها، " كيف يعني؟" تتبين عين من لهجته أنه صعيدي، فتقول له أنهما أخوة. فيعيد الشرطي السؤال وقد زاد استغرابه. فترد عين بصوت مرتفع وقد زاد حنقها، " من أب وأم مختلفين يا أخي. غريبة دي." وتغادر الحفل إلى محطة الأتوبيس، وهي تسب وتلعن هذا الكورسيكي، وتقسم ألا تراه ثانية.

يدعــوها علي أخيرا للعشاء ببيته الجديد. تسأله عين لم غير مكان سكنه. " لم يعجب المدام." يرد بنبرة محايدة. تشعر عين أن هذا أفضل، إذ لم تكن تعرف كيف ستتصرف في البيت الذي شهد كل ركن فيه حبها وغضبها وألمها. ربما هذا ما لم يعجب " المدام " أيضــا. فهي تعرف جيدا عن علاقة عين وعلي. وقد شاهدتهما معــا في تلك الليلة الحزينة، ليلة أن رقصت عين لنفسها. ليلة أن باحت بكل ما في قلبها. ومشت.

تشتري عين ورودا حمراء لسلمى، وتذهب إلى العشاء برفقة عائشــة. يفــتح علي الباب ببنطلون بيجامة قديم تعرفه عين جيدا، فكثيــرا مــا لبسته في أيام البرد. تمازحه وهي تنظر إلى هيئته، " اتجوزت بهدومك القديمة يا علي!" يضحك علي ويقول، " وماله، مش عندكوا مثل بيقول من فات قديمه تاه." تبتسم عين، ولا تعلق.

ثم تأتي سلمى. تندهش عين لرؤيتها لكنها تتحكم في تعبيرات وجههــا. ترحب سلمى بعين. يتعانقان بود. ويجلسان على مقاعد منفصــلة. هل هذه هي المرأة التي رأتها عين من قبل. لا تصدق. هــل هــذه هي المرأة التي كانت مسلحة بكل أسلحة الأنوثة! التي تجلس قبالتها الآن امرأة أخرى. امرأة هادئة بلا مساحيق، ترتدي ملابــس عاديــة تفصــح عن زيادة وزنها، ولا تنم عن أي ذوق خاص. امرأة مستريحة. امرأة حصلت على ما تريد.

تقـــرر عين أن تتأمل هذا التغير فيما بعد. أما الآن فيجب أن تشـــارك في الجلسة حتى لا يثير صمتها الشكوك. تتوجه بالحديث إلى علي. تحكي بضع حكايات عن أبوللو وهي تنظر إلى سلمى. تـــريد أن تطمئنها أن لديها رجلا آخر. لكنها تعرف أن كل جزء فيها يشع بحب علي. ثم تغير الحديث الى أمور عامة كي تشارك سـلمى في الحديث، لكنها لا تشارك، ولا تبدي أي اهتمام بالأمور السياســية أو الاجتماعــية التـــي طالما كانت محور أحاديث عين وعلي. بماذا تهتم هذه المرأة التي جلست تقلم أظافرها بعناية.

بعـــد العشـــاء، يذهبون جميعا إلى بيت عائشة حيث الاحتفال بزواج علي وسلمى.

تجلـــس ســـلمى بعيدا عن علي لأنها لا تحب الدخان، فتجلس عـــين بجانـــبه، وتشـــاركه الدخان والويسكي. ويتحدثان في أمور مخـــتلفة. وعندما يصل النقاش المتبادل الى نقطة خلاف، تضحك عـــين وتسأل علي، " انت بتتكلم مع سلمى في إيه؟" يضحك علي وهو يرد عليها، " إحنا ما بنتكلمش خالص." تنظر عين الى سلمى وهي تحاول أن تقرأها. تهز رأسها وهي تقول لعلي، " دي ميتة يا علي." ينفجر علي في الضحك ويرفض التعليق.

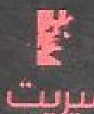
تعلو موسيقى الراي، ويبدأ الرقص.

تجـــذب ســـلمى علي برفق ليرقص معها. تنتبه عين الى أن حـــركاتها صـــارت أكثر ليونة. تظل مكانها وتتأمل الاثنين معا. تحاول عين أن تجد أي نقاط مشتركة بينهما. لا تجد. تنظر إليهما مجـــددا. سلمى تبدو سعيدة، لكن علي... لا تعرف بالضبط، لكنه

خاتمة

الكتابة لا ترحم أبا أو أما أو حبيبا أجدني الآن متفقة
مع رولان بارت لم أكن أعرف أن الرواية كائن حي له القدرة على
النمو و التطور وفق شروطه هو إلا بعد ما بدأت في الكتابة
بنفسي الكتابة لا تخضع إلا لشروطها و رغباتها حاولت فقط
و قدر جهدي أن أبتعد عن أي سياق سياسي اجتماعي
قد يفسد الإحساس بالحب
و رغم أنه وفقا لبارت . الرواية التي بدأتها بإهداء
للحبيب قد تخنق هذا المحبوب في النهاية
و لا تمجد إلا الذات الكاتبة إلا أنني يجب أن أعترف بفضل علي
لو لم يدخل حياتي هذا الشخص لو لم أحبه و أحبني إلى هذه الدرجة
لم يكن من الممكن
كتابة هذه الرواية و لست أعرف على وجه الدقة هل أهدي
الرواية إلى علي الرجل الذي أحبه
أم علي المتخيل في الرواية
تداخل الشخصان بدرجة صار من الصعب علي الفصل بينهما
الاهداء لا يهم في النهاية
أحبك يا علي و أحب نفسي لأن نفسي تحبك
و أشكرك على الحياة التي منحتها لي في الواقع و في الخيال
و على وردة، التي حلمت بها طفلة، فجاءت رواية

ع الساقي



ميريت

تصميم الغلاف: أحمد مراد